خمسون عاماً من العذاب

رواية

اسم الكتاب: خمسون عاماً من العذاب
اسم المؤلف: خالد العتيبي
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 108
سنة الإصدار: 2024
رقم الإيداع: 29301 / 2024
الترقيم الدولي: 1 – 088 – 971 – 977 - 978
تدقيق لغوي: د. هبة ماردين
تصميم غلاف: منى الموجي
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

خمسون عاماً من العذاب

رواية

خالد العتيبي

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
حقوق حلمك

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

إهداء

إلى أستاذي الغالي...

الإعلامي أحمد لفته علي

يسعدني بأن أهديك هذه الرواية

تقديراً واحتراماً لشخصك الكريم

صداقتك ووجودك بجانبي يعني لي الكثير

- حفظك الله- ورعاك

خالد العتيبي

****

كان الطفل وليد ذو السابعة من عمره ينتظر ذلك اليوم الذي يرى فيه الطفلة نور ذات السادسة من عمرها، يتأمل عينيها الواسعتين وشعرَها الأسود ذا الضفيرتين، وكأنّه يرى أمامه تحفة جميلة يتأملها ويجد بها ما يسعده عند لقائه معها.

كان كل يوم يكشف عن أشياء لم يرَها فيها من قبل.

حتى أصبحت هي عالمه الخاص الذي يرى من خلالها الحياة، لدرجة أنّه قد ينسى كل شيء من أجلها.

الغريب في الأمر بأنّ ما يجمعه معها مجرد براءة أطفال ولعب، وحديث حول المدرسة وزملاء الدراسة والمعلمين، وأحيانا يشعر بعاطفة نحوها؛ لأنّه يعلم بأنّ أباها صاحب ذلك الدكان الصغير قد تزوج من امرأة أخرى مما تسبب في إهماله لوالدتها وأختها سحر التي تكبرها بعدة سنوات، لقد وجد في الزوجة الثانية ما لم يجده في الزوجة الأولى خصوصا بأنها قد أنجبت له ثلاثة من الأولاد الذكور، وهذا ما كان يتمناه في حياته مع الزوجة الأولى التي لم تنجب له غير البنات، وأغلب فترات الحمل لا تتم لأنّها تفقد الجنين قبل أن تكتمل شهور الحمل كاملة، ولم تتم معها عملية الحمل إلا مرتين عندما أنجبت سحر، وبعدها بعدة سنوات ومع محاولات حمل فاشلة أنجبت نور، فقال لها الطبيب بأنّ صحتها لن تحتمل الحمل والولادة بعد ذلك، فيجب عليها أن تتوقف عن فكرة إنجاب الأطفال.

عندها قرر الزوج بأن يتزوج من امرأة أخرى، وبعد محاولات من الأم لمنعه من الزواج، لكنّها لم تستطع ذلك فاستسلمت ورضيت من أجل ابنتيها لهذا الأمر.

ومن أجل ظروفها السيئة التي لا تساعدها على اتخاذ فكرة الطلاق والانفصال عنه.

من جانب نور كانت تهتم بوليد، وحريصة بأن تراه بعد كل فترة وأخرى، رغم أنّ أخته منار في عمرها نفسه تقريبا، لكنّها لا تهتم بها ولا بأخيه سعيد الذي يتجاوز عمره عمريهما بأربعة أعوام.

وتكاد أن تكون العلاقة محصورة فقط بين وليد ونور دون الاهتمام بالآخرين.

هناك بعض المجاملات والزيارات القليلة بين عائلتي وليد ونور، ولكن ليست بالعلاقة القوية جدّاً مثلهم مثل العلاقات العادية بين الجيران.

كانت نور تنظر لوليد بأنّ وضعه العائلي أفضل من عائلتها التعيسة، فهي تكاد لا ترى أباها غير بين فترة وأخرى، فهو المشغول بحياته مع زوجته الأخرى، وبدأ يهمل والدتها وأختها سحر خصوصا بعد أن بدأت المشاكل والخلافات تكبر بينهما من بعد زواجه الآخر.

وإحساس الأم بالهزيمة بعد أن أنجبت له زوجته ثلاثة من الذكور وهي التي فشلت في ذلك.

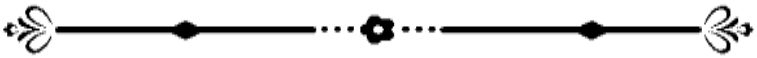

مما سبب لها ألماً بداخل نفسها، وظروفها التي تجبرها على الاستمرار في العيش مع رجل لم يعد يقدّر وجودها في حياته، وامرأة أخرى أخذت منها زوجها وسعادتها، وقد استطاعت بأن تمتلكه ويكون رهيناً بين يديها.

عائلة وليد ليست بالعائلة الثرية، ولكن ميسور حالها ويستطيعون العيش وادخار بعض المال عند الحاجة.

تمضي الأيام والسنون ويصبح سعيد في العشرين من عمره، لكنّه لم يكمل تعليمه وليس لديه أي ميول نحو الدراسة، فاتخذ له ورشة لإصلاح السيارات بمساعدة أبيه الذي وقف بجانبه ودعمه ببعض المال، وهذا هو العمل الذي يتوافق مع ميول سعيد وهواياته.

أما وليد ومنار فهما ما زالا تلميذين في المدرسة، وكلّ واحد منهما له أحلامه واتجاهاته.

من جانب عائلة نور تم زواج شقيقتها سحر إلى ابن عمها الطبيب أحمد الذي تخرج من كلية الطب حديثاً، برغم أنّها لا تزال في الثامنة عشر من عمرها وهذا هو تقليد العائلات في زمنهم.

ليس هناك أي اهتمام بتعليم البنات، المهم أن يأتي ابن الحلال المناسب الذي يسترها ويتزوجها.

وهذا هو حال بقية الناس والمجتمع حينها، وخصوصاً الطبقة الفقيرة منهم.

يأتي اليوم الذي تتحدث فيه أم سعيد مع زوجها وهي تقول له:

_ لقد ترك سعيد الدراسة وهو يعمل الآن بالورشة، لماذا لا تخطب له أو حتى تزوجه؟ فهو شاب وأخشى عليه من الضياع.

أخذ أبو سعيد يتمتم، وكأنّه ليس مقتنعاً بما تقول:

_ دعيه عدة سنوات أخرى حتى يستطيع جمع المال الذي يعينه على الزواج، بدل أن ينفقه على السهر مع رفاقه كل ليلة حتى طلوع الفجر.

أم سعيد وهي تحاول إقناعه:

_ لماذا الانتظار ونحن نستطيع مساعدته؟

أبو سعيد ينظر إليها بدهشة:

_ كيف ذلك.. ماذا تريدين أن تقولي؟

أم سعيد تحاول أن تشرح له أكثر:

_ الشقة لدينا واسعة جداً، ويمكننا أن نستغني عن جزء منها ليسكن فيها سعيد مع زوجته.

لم تكن فكرة أم سعيد جديدة عند طرحها على زوجها؛ لأنّ أغلب العائلات في ذلك الوقت تقوم بتزويج أكبر الأبناء وإسكانه مع العائلة، بسبب الظروف الاقتصادية المحدودة التي تفرض على المجتمع ذلك، ومحاولة منهم إيجاد أهون الحلول من أجل أن تستمر الحياة.

لقد كانت حياة بسيطة خالية من الرفاهية والتكنولوجيا المتقدمة، ومن ثورة الحضارة التي ينعم بها العالم الحالي.

وليس هناك من وسائل الترفيه غير التلفاز والإذاعة وهما الوسيلتان التي يمكن للناس حينها معرفة الأخبار وماذا يدور من أحداث من حولهم.
بجانب بعض الصحف المعروفة في تلك الفترة، وسيلة الاتصال كانت من خلال الهاتف المنزلي، لكنّه ليس متاحاً للجميع الحصول عليه، فهو متاح فقط للأسر ميسورة الحال، ولديها بعض من الرفاهية في المال.

أخذ يفكر أبو سعيد بعض الوقت فيما تقوله زوجته أم سعيد، ثمّ قال:
_ وهل لديك عروس لتزويجه؟
بدون أي تفكير تجيبه أم سعيد:
_ نعم... نور ابنة جارنا محمود، أرى بأنها مناسبة له جداً، وظروفها صعبة من الناحية المالية، وأعتقد بأنّها سوف ترضى بالقليل مع ابننا سعيد.
بعد أيام يذهب أبو سعيد إلى الجار أبو محمود وتتم الخطبة، ويتم الاتفاق بين العائلتين على حفل الزواج بعد سنة من الآن.
عندما علم وليد بالخبر أصيب بالصدمة وخيبة الأمل، وبأنّ نور ستكون زوجة لأخيه سعيد ولن تكون له.
ولكن عندما وجد أخاه سعيد فرحاً بتلك الخطبة، وينتظر بفارغ الصبر حفل الزفاف، كتم مشاعره وألمه وحزنه بداخله وهو لا يعلم ماذا يفعل بتلك المصيبة التي لم تخطر على باله أبداً.

حاول وليد بطريقة أخرى أن يتحدث مع نور ويقنعها بمحاولة الامتناع عن هذا الزواج الذي سوف ينهي علاقته معها للأبد خصوصاً بأنّها ستتزوج من أخيه.

وهو الذي لن يستطيع أن يستمر في حياته بدونها، لكنّ نور تجيبه وهي في حيرة من أمرها..

_ لماذا لا تتحدث مع أخيك سعيد وتنهي هذا الأمر معه؟

ينظر إليها وليد وهو يحاول أن يتغلب على حزنه..

_ لا.. لن أستطيع الحديث مع سعيد في هذا الأمر، وأنا أرى الفرحة تغمره لا.. لن أستطيع.

تقول له نور وهي بداخلها اليأس:

_ منذ متى والبنات في مجتمعنا لهن حرية الرفض أو القبول؟

يشير وليد إليها بإصبعه بكل عصبية منه..

_ يجب أن تقولي.. لا.

تحدثي مع أمك لإقناع أبيك بأنك ما تزالين صغيرة على الزواج.

تبدو على وجه نور ابتسامة وكأنّها تسخر من كلامه:

- أنسيت بأنّني أصبحت الآن في السادسة عشر من عمري، وهناك الكثيرات أصغر من ذلك تزوجن وأصبحن أمهات، إنّ هذا الكلام الذي تقوله لن يقنع به أبي أبداً.

ولا تنسَ بأنّ أمي موافقة على هذا الزواج وهدفها هو الخلاص مني بسبب الظروف المالية السيئة التي نعاني منها.

غادر وليد المكان دون أن يلتفت إليها وهو في حالة سيئة جدّاً، ولا يعلم ماذا يفعل بتلك المصيبة التي وقعت فوق رأسه وحزنه الأكبر بأنّ أخاه هو سعيد من سيتزوج من نور، الذي يحبّه ولا يمكنه أن يكون السبب في إفساد سعادته، خصوصا بأنّه لا يعلم بعلاقة الحبّ الذي بين وليد ونور، وكذلك جميع من حولهم.

تلجأ نور إلى شقيقتها سحر لتتحدث معها بكلّ صراحة حول علاقتها وحبّها لوليد، وبأنّها لن تستطيع الزواج من سعيد فليس هناك أي شعور أو إحساس من جانبها إليه يجعلها أن تقبل الزواج منه.

كان رأي سحر مختلف جدّاً، فهي ترى بأنّ ليس هناك شيء اسمه الحبّ، هناك الاستقرار والسعادة فقط.

تنظر نور إلى سحر وهي في قمة حيرتها..

- إنّ الحبّ هو أساس السعادة والاستقرار التي تتحدثين عنها، فأنا لن أتصور حياة بين اثنين بدون الحبّ.

لكنّ سحر تخالفها في الرأي وترى بأنّ هذا الزمن الصعب الذي نعيشه لا يعترف بشيء اسمه الحبّ، إنّه زمن المال والرفاهية والمظاهر البراقة، فما

فائدة حبّك لوليد وأنتِ لن تجدي معه السكن الملائم والمستوى المعيشي الذي هو مصدر الاستقرار والسعادة لكي تستمر الحياة بينكما.

ينتاب نور نوبة من البكاء وهي تقول لسحر:

_ أنا الآن أعاني من مشكلة زواجي من سعيد الذي لا أتصور بأنّني سأكون زوجة له، فكل مشاعري نحو وليد ولا يهمني ذلك المال ولا الرفاهية التي تتحدثين عنها، لأنّ سعيد لا يختلف عن وليد في المستوى المالي، لكنّني أقلها سأكسب حبّ وليد وراحة نفسي معه.

تقول سحر بعصبية منها وكأنّها تحسم هذا الأمر:

_ بصراحة أنا أرى بأنّ لا فائدة لك من الزواج من سعيد ولا من أخيه وليد، فليس هناك فرق بين الاثنين الفقر يجمعهما

وليس هناك أيضا ذلك المستوى التعليمي الذي تفخرين به أمام المجتمع، أنا أرى بأنّ ليس هناك أسباب تجعلك تقبلين بأي واحد منهما.

نور في دهشة مما تسمعه من أختها سحر فتقول لها:

_ أي فقر وأي تعليم تتحدثين عنه، فنحن نتساوى معهم في ذلك، وما هي الشهادات التي لدينا من أجل أن تفخري بها سعيدة الحظ في مجتمعنا من تحصل على الشهادة الثانوية التي لم تحصلي عليها.

تشعر سحر بالألم عندما تسمع هذه الكلمات من نور، لكنّها تنكر كل ما تسمعه وهي تقول:

_ لكنّني تزوجت من الطبيب أحمد من غير حبّ وأنا سعيدة معه وهو من سوف يخرجني من حالة الفقر التي أعاني منه ومن إهمال أبي لنا، وأضيف لك أيضاً بأنّ أحمد لديه فرصة للابتعاث إلى أوروبا للحصول على شهادة الدكتوراه، وسوف أكون معه، ويمكنّني أن أكمل دراستي هناك.

يفترض في هذا الزمن الذي نعيشه وخصوصاً الظروف التي تعيشها واحدة مثلي ومثلك بأن تبحث عن الرجل الذي يرتقي بها إلى الأعلى ويساعدها على العيش في هذه الحياة القاسية التي نعيشها منذ صغرنا، الحبّ لن يوفر لك السكن المناسب ولا اللبس والمظهر والحياة التي تتمناها كلّ البنات.

أخذت تستمع نور إلى حديث سحر وهي في حيرة من أمرها، وهي تعلم بأنّ القرار ليس بيدها، وأنّ مصيرها كله بين يديّ والدها الذي لن تستطيع مواجهته وأن تحسم الأمر معه.

يأتي يوم الزفاف وتنتقل نور إلى بيت الزوجية الذي لم يكن غير غرفة نوم وبجانبها حمام صغير، وبقية الشقة لعائلة أبي سعيد.

حتى المطبخ ليس من حقها التصرف فيه، تأتي لتأكل فقط وقت الوجبات الرئيسية وباقي الوقت يتم إغلاق باب المطبخ بأمر من أبي سعيد، وذلك حفاظاً على عدم إهدار الطعام خصوصاً وأنّ السلع الغذائية أسعارها في ارتفاع متزايد في الأسواق، والحياة تتغير أحوالها بسبب الكوارث والحروب في بعض دول العالم.

رأت نور بأنّ حالها بعد الزواج لم يكن بأفضل من حالها وهي في بيت عائلتها.

في أحد زياراتها إلى بيت أمها أخذت تشكو وتبكي عن عدم ارتياحها في ذلك المنزل، وتشعر فيه بالاختناق، تبقى بغرفتها طول ساعات النهار ولا تجد الحرية الكافية في الحركة داخل بقية الشقة.

أخذت الأم تنصحها وتوصيها بالصبر والتوكل على الله، لعلّ يكون في الأيام القادمة خير قادم لها، وتتبدل أحوال زوجها ويستطيعون الحصول على سكن آخر.

لم تجد نور في كلام الأم ما يشجعها على اتخاذ القرار الذي يريح ما بداخل نفسها وهي التي غير راضية بزواجها من سعيد وتقول في نفسها..

لو كان الذي تم زواجي منه وليد لكان موضوع الشقة أهون بكثير لكن معاناتي الآن لا راحة لي في البيت ولا الزوج مرتاحة معه أيضاً.

فقررت نور أن تكتم معاناتها في داخل نفسها، فلم تجد من يفهمها ومن يشعر بالحزن الذي بداخل قلبها، فإنّ الرّوح إذا أحبت روحاً تألفها ويصعب بأن تتعايش مع روح أخرى لن تألفها.

بدأت المشاكل تظهر ما بين منار أخت سعيد وبين نور بسبب تنظيف الشقة وأعمال المطبخ وتحضير الطعام.

كلّ يوم ومنار تشكو للأم بأنّها لم تعد تحتمل العمل في هذا البيت، وهي لا تعرف إن كانت ابنة لهم أم خادمة لديهم، لماذا هي من تقوم بتنظيف البيت بكامله ونور لا تهتم بغير غرفتها فقط.

إنّها تأتي لتأكل وقت الطعام الذي أجهزه لها، ثمّ تعود لغرفتها وأنا التي أقوم بتنظيف الأطباق أيضاً بعد ذلك.

تحاول أم سعيد بأن تخبرها بأنّ ما تفعله منار من أجل أخيها سعيد ومن أجل ظروفه، المبلغ الذي يحصل عليه من عمله في الورشة لن يستطيع من خلاله الحصول على شقة أخرى.

الحقيقة بأنّ هناك سبباً آخر يجعل منار لا تحتمل وجودها في بيت عائلتها، وهي ترى كلّ البنات من حولها منهن من تمت خطبتها والبعض الآخر من تم زواجها وهي الوحيدة من بينهن التي لم يتقدم لها أي شاب لخطبتها من أبيها.

حتى أنّها بدأت تنظر كلّ يوم إلى مرآتها الصغيرة التي تخبئها بداخل حقيبة يدها، وهي تتأمل وجهها وشعرها وتقول لنفسها: ما هو الفرق بيني وبين نور وبقية البنات، إنّني أكاد أكون الأجمل من بينهن ولكن شباب هذه الأيام لا يقدرون الجمال ولا يعرفون عنه شيئاً.

من جهة أخرى بعد أن أمضى سعيد الشهر الأول من زواجه، لم يعد يهتمّ بنور ولم يعد يتواجد معها، فهو مشغول طوال اليوم في ورشة السيارات، ووقت المساء بالسهر مع الأصدقاء حتى وقت متأخر من الليل.

في بعض الأحيان تحاول نور الانتظار وحيدة بغرفتها حتى عودته، وأحياناً يتغلب عليها النوم ولا تراه حتى اليوم وهو ينام في السرير بجانبها.

أما وليد فهو يكاد يكون غير موجود في البيت رغم وجوده معهم، لأنه لا يستطيع بأن يرى نور تعيش معه بداخل البيت وهي زوجة لأخيه سعيد، فقرر بأن يكون في عزلة تامة عنهم ويعتذر منهم بأنه في آخر مراحله الدراسية ويحاول الحصول على شهادة الثانوية للبحث عن وظيفة للخروج بعيداً عن البيت الذي لم يعد يستطيع العيش فيه.

يفكر كيف يرحل إلى البعيد لعلّه ينسى حبه لنور منذ طفولته لكنّه ضاع من بين يديه بفعل ظروف خارجة عن إرادته، إنّها الآن أصبحت ملكاً لغيره ويجب عليه أن يقبل بذلك.

في يوم تأتي سحر في زيارة قصيرة لنور، وهي تخبرها بأنّ البعثة الخاصة بأحمد إلى أوروبا، قد تم الموافقة عليها وسوف تسافر معه لمدة ثماني سنوات أو أكثر من ذلك، وقبل يوم سفرها تطلب من نور بأن تراها في بيت العائلة لتوديعهم قبل أن تغادر مع زوجها أحمد إلى المطار.

عندنا تصل سحر مع زوجها الطبيب أحمد إلى لندن أخذت تتنفس بعمق وهي تشعر بداخلها بأنّها بدأت تضع قدمها على أول سلم النجاح والسير نحو الثراء والاندماج مع مجتمعٍ مثقفٍ حضاريّ راقٍ مختلفٍ عن محيط مجتمعها الفقير.

اتخذت قرار مع نفسها بأن تكمل دراستها ولن تكون أقل منهم.

أحمد ذهب إلى أوروبا من أجل دراسته والحصول على شهادة الدكتوراه، وهي أيضاً سوف تستغل فرصة تواجدها معه تتعلم وتطور من نفسها، وأقلها بأن تحصل على الشهادة الجامعية، فهي زوجة الدكتور أحمد ولا تريد أبداً بأن تكون أقل منه في شيء.

بعد أن يمضي عدة شهور على سفر سحر إلى أوروبا تتلقى رسالة من أختها نور تخبرها برحيل أبيها عن هذه الحياة

وقررت زوجته الأخرى بعد أن حصلت على نصيبها هي وأبناؤها الثلاثة من الميراث الاستقلال في بيت آخر بعيد عن أم سحر ونور التي بقيت وحيدة في البيت القديم، وهي ترفض مغادرته لأنّه قريب من بيت نور التي تأتي إليها كلّ يوم لتطمئن عليها وتصنع لها الطعام مع ترتيب البيت قبل أن تغادره.

انتهت فترة الامتحانات الدراسية وحصل وليد على شهادته الثانوية التي كان ينتظرها بفارغ الصبر، وقرر بأن يبحث له عن وظيفة يستقل بعدها مع نفسه بعيداً عن الماضي ليعطي نفسه فرصة لنسيان حبه القديم مع نور بعد أن خضعت لرغبة عائلتها وتزوجت من أخيه سعيد.

أثناء بحثه عن الوظائف المتاحة أمامه وجد بأنّ هناك فرصة له للعمل في أحد الشركات البترولية المتخصصة في التنقيب عنه والإنتاج.

وبالفعل يتم التحاقه بها وغادر إلى مدينة أخرى بعيدة عن مدينته التي عاش بها منذ طفولته ولا يعرف مدينة غيرها، لكنّه قراره الذي اتخذه بأن يسلك طريقاً آخر يبدأ منه حياته الجديدة.

الأم حزينة على فراق وليد ولا تريده بأن يكون بعيداً عنها، لكنّ أبا سعيد يقول لها:

_ دعيه يذهب ويرى مستقبله فهو رجل ويجب أن يعرف كيف الاعتماد على نفسه.

بعد غياب ثلاثة أشهر يأتي وليد في زيارة قصيرة لم تتجاوز الأسبوع للاطمئنان على عائلته بعد أن أخذ يشعر بالاشتياق إليهم.

تحاول أم وليد أن تستغل فترة وجوده معهم، بأن تزوجه من هدى ابنة الشيخ عبد الله وهي عائلة بسيطة متدينة ما يزالون محافظين على العادات القديمة التي بدأت تتلاشى من المجتمع مع دخول التكنولوجيا الجديدة، وفي لحظة يأس منه وتحقيقاً لرغبة أمه يوافق وليد على الزواج من هدى لعلّه يستطيع أن ينسى ما مضى من حياته السابقة، ويبدأ مع مرحلة جديدة، أخرى تجلب له الراحة والسعادة التي يحتاج إليها خاصة وأنه يعيش بعيداً عن عائلته.

أصبح في حاجة امرأة تنظم له حياته وتهتم به، وتملأ عليه وقت فراغه، بعد الجهد والتعب الذي يبذله في عمله طيلة ساعات النهار.

يأتي اليوم الذي يتم فيه زفاف وليد وهدى وهو يشعر بداخل نفسه بأنّ روحه باقية مع نور ولم يستطع نسيانها، وأخذ يزداد أكثر بعد قرار زواجه من هدى رغم كل ما يفعله من أجل الهروب من حبّها.

بعد أن مضت بضعة أيام على الزواج يكتشف وليد بأنّ هدى زوجة متدينة جداً ومهتمة به وبأعمالها المنزلية على أكمل وجه، وتحاول بأن ترضيه بقدر ما تستطيع لأنّها تشعر بداخل نفسها، بأنّها بدأت تحبّ وليد بعد الزواج رغم أنّها لم تكن تعرفه قبل الزواج منه.

ولم تعرف شيئاً اسمه الحبّ إلا من خلال اهتمامها به ومحاولة الاقتراب منه أكثر وأكثر، لكن مشاعر وليد كانت مختلفة جدّاً وبعيدة عنها جدّاً.

فهو لا يستطيع بأن يبادلها نفس الأحاسيس والمشاعر التي تحتاجها منه، لأنّ مشاعره ما تزال مشغولة بحبّ نور وقلب نور رغم مرور تلك السنين التي مضت، وهو الآن يرى بأنّ ليس هناك امرأة تستطيع بأن تسكن قلبه غيرها.

رغم أنه يعلم بأنّ نور ذات جمال عادي جداً، لكنّه يعجبه ويريحه داخل نفسه، حتى وإن كانت هدى أجمل منها فلم تحرك مشاعره وتعطيه ذلك الشعور الجميل الذي كان يجده في الماضي لحظات وجوده مع نور.

بدأ يتسلل بداخله الملل والشعور بأنّه اتخذ القرار الخطأ، لقد استعجل في موضوع الزواج وتمنى بأنه لم يفعل ذلك.

وفي نفس اللحظة يشفق على هدى وعلى طيبة قلبها وحبّها الشديد له، الذي يعلم بأنه لا يستحقه منها لكنّه معذور في ذلك.

لأنّ مشاعره وقلبه ليست ملكه وليست بيده ولن يستطيع السيطرة عليها لأنّها أصبحت ملكاً لنور التي أحبها منذ طفولته وهي حلمه الذي لا يمكنه نسيانه.

بدأت هدى تشعر بأنّ هناك حاجزاً بينها وبين وليد لا تعرف له سبباً، وتشعر أيضاً بأنه يمثل الحبّ وقلبه ليس معها.

بدأت تعاتبه على إهماله لها وبأنّه لا يحترم وجودها في حياته كزوجة له.

ولا يهتم بمشاعرها كامرأة تحبه وتقدره وأصبح هو كل شيء في حياتها.

عندما يسمع ذلك الكلام منها يفقد أعصابه ويصرخ بوجهها ماذا تريدين أن أفعل أكثر من ذلك، فكل شيء تحتاجين إليه موجود بين يديك.

ماذا تريدين أكثر من ذلك؟

في بعض الأحيان تلتزم هدى الصمت وتحاول أن تحتمل كل ما يقول لأنّها تحبّه، وأحياناً تنفجر من شدة الغضب، وتقول له الحقيقة التي تراها.

_ الحياة الزوجية ليست مجرد أكل وشرب، وكل ما أتمناه أجدك تحضره أمام عينيّ، لا.. يا وليد هناك شيء اسمه الحبّ والتقدير والاحترام لامرأة تعيش معك في بيتٍ واحدٍ.

أرى بأنّك لا تشعر بوجودي أمامك ولا تقدر مشاعري كزوجة لك، لو كنت خادمة لديك لكنت حسبت لها ألف حساب وتخشى من غضبها قبل أن تصرخ بوجهها خوفاً من غضبها والهروب منك.

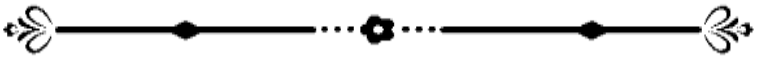

بدأ وليد يدافع عن نفسه وبأنّه مشغول طوال ساعات النهار، وبأنّ العمل يأخذ منه كلّ وقته وجهده، وليس لديه الوقت الكافي ليسمع منها هذا الكلام.

بعد أيام تقرر هدى بأن تغادر البيت وتبتعد عن وليد بالذهاب إلى بيت أبيها.

لأنّها لن تستطيع العيش مع رجل غامض بالنسبة لها وهي كزوجة له لا يهتم بمشاعرها ولا يهتم بها، وكأنّ هناك شيئاً في حياته يبعده عنها.

لكن عائلتها ترفض تلك الخلافات التي تسمعها منها ويقول الأب لها:

_ اصبري يابْنتي لعلّ الأيام تصلح ما بينكما.

تمضي الأيام لكن وليد لم يسأل عنها، وبعدها بشهور أيضاً لم يحاول أن يأتي لرؤيتها أو يفكر بالاتصال بها أو الاعتذار لها، فتحاول هي أن تتصل به وتخبره بأنّها لم تعد ترغب بالاستمرار في العيش معه، وبأنّها تطلب الطلاق منه خلال يومين، وينفذ وليد رغبة هدى بدون تردد ولا تفكير منه، ويتم الطلاق بينهما.

تسمع نور بواقعة الطلاق التي بين وليد وهدى وهي تعلم بداخل نفسها بأنّها هي سبب ذلك.

وبأنّ وليد مازال يحبها ولم يحتمل فكرة زواجه من هدى، لأنّها لن تكون البديل لها في قلبه مهما حاول ذلك.

ووليد يعلم أيضاً بأنّها ستبقى هي حبّه الوحيد الذي سيطارده في كل مكان وفي كل امرأة يراها مهما حاول النسيان.

وتكاد تكون مأساة وليد هي ذاتها مأساة نور عندما تزوجت من أخيه سعيد، حاولت أن تحبه وتكون له الزوجة المحبة، وتقترب منه لكنّها في كل مرة تجد بأنها تفكر في وليد بصورته وذكرياته حاضر دائماً معها.

لكن ليس بيدها حلول لتقدمها لوليد ولنفسها، فهي تشعر بأنّها في داخل دوامة تدور بها وليس لديها أمل في الخروج منها أبداً، خاصة بأنّ سعيد يهملها ولا يهتم بها وله اهتماماته الخاصة.

تقدم وليد إلى عمله بطلب إجازة لمدة شهر فهو في حالة نفسية سيئة جداً ويحتاج إلى الراحة والاستجمام مع نفسه بعد تجربة الزواج غير الناجحة مع هدى.

ثمّ توجه إلى أحد الفنادق ليقيم في إحدى غرفه المطلة على شاطئ البحر، ويمضي معظم وقته في الجلوس على مقعد بداخل الشرفة يتأمل أمواجه وكأنّه يرمي بألمه وحزنه لموج البحر ليأخذه إلى أعماقه بعيداً عنه.

يحاول أن ينسى كلّ ما حدث له من ذكريات مضت مع زوجته هدى بعد الطلاق بينهما.

ويجب عليه بأن يفكر في عمله ومستقبله الوظيفي وألّا يجعل أي تجربة في حياته أن تثنيه عن أي نجاح يسعى إليه في مرحلة عمره القادمة.

وأثناء تفكيره العميق هذا.. ما زال يرى صورة نور ماثلة أمامه بين موج البحر وهو يتمنى بداخل نفسه لو كانت شريكة لحياته لتبدلت حياته ومشاعره من الحزن إلى السعادة التي لن يراها مع امرأة أخرى.

في هذه اللحظة يرن جرس هاتفه ويرى بأنّها أمه هي من تتصل به للاطمئنان عليه، وعندما علمت بأنه في إجازة من العمل أخذت تطالبه بأن يأتي إليها لتراه، فحاول أن يخبرها بأنه يحتاج البقاء هذه الفترة الزمنية مع نفسه، لكنّها أخذت تبكي وتقول: وليد أنا أمك ولن أرتاح حتى أراك أمام عيني وأطمئن عليك.

عندما يصل وليد إلى بيت العائلة، حاولت الأم بأن تكون وحدها معه لمعرفة أسباب الطلاق الذي حدث بينه وبين هدى، يحاول في البداية أن يخفي عنها بعض الخلافات التي تحدث بينهما أحياناً، لكن بعد جدل طويل بدأ يذكر لها بعضاً من جوانب تلك الخلافات، ولكن لم يذكر لها بأنّ حبه لنور أحد تلك الأسباب التي تمنعه من الاستمرار في حياته الزوجية معها.

أخذت الأم تحدثه عن تجارب أخرى لناس آخرين فشلت مع أول تجربة للزواج، ولكن من ثاني تجربة يحالفهم الحظ وتستمر حياتهم بالنجاح.

وليس بأنّه قد فشل في أول تجربة زواج له ستكون نهاية العالم، حاول وليد أن يقنع أمه بأنه ليس مُهيّأً من الناحية النفسية لخوض تجربة أخرى، قد تكون فاشلة مثل تجربته السابقة، ووقت عمله يأخذ منه معظم ساعات اليوم، فأين تلك المرأة التي سوف تتحمل وقت غيابه الطويل خارج البيت،

لكنه داخل نفسه يعرف بأنه يكذب على أمه المسكينة ولا يستطيع بأن يقول لها الحقيقة عن مشاعره التي تحترق كل ساعة وكل يوم وهي ما تزال أسيرة لحبه الوحيد، فهذا الاعتراف صعب عليها سماعه خصوصا بأن نور أصبحت زوجة أخيه وهذا سيكون اعترافا خطيرا منه يجب أن يخفيه عن العائلة كلها، وهو يرى أخاه سعيد بحاجة لزوجة تهتم به، ولا يعرف ماذا سيكون وماذا سيحدث لو ذكر ذلك أمامهم.

تقترب الأم من وليد وهي تتحدث بصوت خافت وكأنّها تهمس إليه:

_ اسمع يا وليد ما رأيك في منى ابنة اللواء عبد الرحمن إنّها جميلة ومؤدبة جدّاً.

ينظر وليد إلى أمه وكأنّه صدم من كلامها معه..

_ من هي منى إنني لا أعرفها؟

_ لست بحاجة بأن تعرفها إنها صديقة أختك منار منذ الدراسة وقد رأيتها عدة مرات، عندما تأتي لزيارتها بين فترة وأخرى.

يحاول وليد بأن يعترض على ذلك أو يقول شيئا ولكن تقاطعه الأم وهي تقول:

_ دع موضوع زواجك هذه المرة لي وسوف تكون سعيداً معها.

أخذ يفكر وليد مع نفسه ماذا يفعل؟

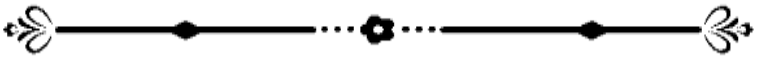

فهو لن يستطيع أن يرفض كلام أمه، فهو أكثر الأبناء التصاقاً بها ويضعف أمام أي شيء تريده، يخشى أن يقول لا.. وفي هذه الحالة سوف يغضبها وهذا ما لا يستطيع أن يفعله معها ولن يرضيه أبداً.

ومن ناحية أخرى يعلم بأنّ زواجه من ابنة اللواء عبد الرحمن مغامرة منه قد ينجح وقد يفشل معها.

وبرغم ذلك تمت خطبة وليد ومنى ابنة اللواء عبد الرحمن والزواج سوف يكون بعد ستة أشهر، وهي مهلة كافية لإعداد بيت الزوجية وتستطيع منى ترتيب ما تحتاجه من ملابس وأشياء خاصة بها قبل موعد الزفاف.

أثناء حفل الخطبة أخذ وليد يبحث بعينيه بين الموجودين عن نور فلم يجدها من بين الحضور، وكان يشعر بداخل نفسه بأن وجودها قد يكون أهم لديه من حضور العروس التي تجلس بجواره.

في اليوم التالي أثناء حديث وليد مع أمه أخذ يتململ بالكلام وهو يحاول معرفة لماذا لم تحضر نور حفل خطبته في ليلة الأمس.

فأخبرته بأنها في المستشفى وقد رزقت بمولودة جميلة ويجب عليه بأن يبارك لأخيه سعيد وزوجته.

أخذ ينظر لها باستغراب:

_ متى ذلك يا أمي لم أعلم بذلك أبداً؟

تقول الأم مبتسمة وكأنها تعاتبه:

- منذ متى يا وليد تهتم بأخبار العائلة، منذ كنت بالمرحلة الثانوية حتى غادرت إلى حياتك الوظيفية وأنت تعيش في عزلة بعيداً عنا ولم يعد يهمك أمرنا.

فكر وليد بأن يزورها في المستشفى وأن يبارك لها وهو يحمل بين يديه باقةً من الزهور، وبداخل نفسه لم يعرف حقيقة مشاعره هل هو ذاهب إليها لأنها زوجة أخيه فقط، أم ذاهب إلى نور التي كان يحبها وما زال يحمل لها بقلبه بعض ذكريات الماضي وشغفه بها، وقد يكون مجرد إحساس يجعله سعيداً بوجودها عندما يراها أمامه.

فتح باب الغرفة فرأى أخاه سعيد يجلس على مقعد مجاور لسريرها وهما يضحكان، وكأنّ هناك شيئاً يتحدثان عنه لم يفهم ما هو.. لكن ضحك نور ونظراتها لسعيد استفزته برغم أنه يعلم بأنّ ما يراه شيئاً طبيعياً بين زوج وزوجته، لكن هناك شيء بداخله يرفض ما يشاهده ويتمنى بأنه لم يرَه.

لكنّ الحقيقة التي لم يفهمها بأنّ نور بعد ولادتها أخذت تشعر وتحس بأمومتها، وبأنّ حياتها قد تتغير بعد طفلتهما الجميلة ولماذا لا تحاول أن تتقرب من سعيد، لعلّه يشعر بهذا الجو الأسري ويغير من أسلوب حياته معها ويقترب منها أكثر.

وتحاول أيضاً أن تسدل الستار على الماضي وتعيش فقط من أجل ابنتها القادمة للحياة.

تقدم وليد بضع خطوات وهو يقدم باقة الزهور إلى نور ويبارك لها بمولودتها الجميلة، ثمّ يسألها عن اسمها، فتقول: اتفقت أنا وسعيد بأن يكون اسمها ريم. قالتها وهي تنظر إلى سعيد والابتسامة لا تفارق شفتيها، وكأنّها بهذه الابتسامة تكمل بها ما كان من حديث بينهما.

قرر وليد بأن يغادر الغرفة فوراً، فهو يشعر بداخل نفسه بأنه مضطرب جداً، وكأنّها ليست مهتمة لزيارته لها.

خرج وليد من المستشفى وهو يلوم نفسه لماذا كل هذا الاهتمام بتلك المرأة بالذات وكأنه لا يرى في الكون غيرها، إنه لم يعد يعرف حقيقة اهتمامه بها، لأنّ إحساسه بها قد تجاوز حدود الحبّ الذي كان يشعر به إلى درجة التعلق بها، ويشعر بأنّ حياته لا قيمة لها إذا لم يكن يراها أمامه، أخذ يفكر ويفكر مع نفسه وهو ينطلق بسيارته في شوارع المدينة، وكأنّه تائه بين الزحام، وهو يطلق الآهات من داخل قلبه ويقول:

_ لقد رأيت نساء كثيرات يفقنها في الجمال والثقافة والرقة والأنوثة، لماذا هي من توقفت مشاعري لديها.

لقد حاولت النسيان والابتعاد عنها لكن قلبي ما يزال ينبض بحبها، هل يمكن قوة حبّي لها نابعة من ذكريات طفولتي وارتباطي بها في تلك الفترة من عمري، أم لأنني اعتدت بأن أراها أمامي ولم أكن أعرف في طفولتي فتاة أخرى في حياتي غيرها؟

ثمّ أخذ يشعل سيجارة وينفث دخانها المتطاير بعصبية منه، وهو الذي لم يكن يطيق رائحة التبغ ولا يحبّ مجالسة المدخنين.

سرح بخياله إلى البعيد وهو يتأمل الطريق أمامه ويقول:

_ لقد تجاوزت حدودي إنّها زوجة أخي ولا يمكنني أن أفكر بها أبداً.

والقدر هو الذي ساقها في طريق أخي سعيد برغم أنه في الماضي لم يكن يفكر بها ولم يرتبط بها بأي عاطفة ولا يهمه أمرها، وأنا الذي أحببتها قد عاقبني الله بحرماني منها، سأحاول الآن بأن أفكر في حياتي القادمة وأهتم بزواجي من منى لعلّها تستطيع بأن تنسيني كلّ هذا العذاب الذي أحمله في قلبي، لقد تعبت من هذا الحبّ الذي يلازمني كلّ هذه السنين، كأنّه سراب أطارده وضاعت سنين عمري دون فائدة منه.

يأتي يوم الزواج ويتم زفاف وليد ومنى ويغادران إلى أحد الدول الأوروبية لقضاء شهر العسل والعودة ستكون إلى المدينة التي بها بيته وعمله الذي يبعد سبعمائة كيلو متر عن المدينة التي تقيم بها عائلته.

بدأت حياة وليد الأولى بعد الزواج تتغير نحو الأفضل، وأخذ يشعر ببعض السعادة مع منى، لكن لم تمضِ عدة شهور حتى بدأ يكتشف بأنّ شخصيتها مختلفة جدّاً عنه تماماً لا يهمها في الحياة معه غير الحصول منه على مبلغ من المال والذهاب إلى الأسواق ومتابعة آخر صيحات الموضة ولا تهتم لثمن الفستان حين تريد شراءه عندما يكون باهظ الثمن، لأن وليد هو من سيدفع ثمنه.

حتى الطعام نادر جداً عندما تفكر في الدخول إلى المطبخ لصنع أي شيء ليأكله.

تفضل الأكل في أفخم المطاعم التي يكاد يكون ثمن الطعام بها يعادل نصف راتبه الذي يتقاضاه كلّ شهر.

عندما حاول وليد أن يفهمها بأنّ المبالغ التي تطلبها منه لن يستطيع دفعها طيلة حياته معها، فتقول بكل ثقة وغرور:

أنسيت بأنّني ابنة اللواء عبد الرحمن ويجب أن تعتاد على ذلك، إذا لم تكن تستطيع الزواج مني فلماذا لم تتزوج من امرأة تتناسب معك؟

أصبح وليد في حيرة من أمره إما الانفصال عنها بالطلاق وإبعادها عن حياته، أو الاستمرار والاستسلام لهذه الحياة التي بدأ يختنق منها لو استمرت على هذا السلوك الذي لا يعجبه.

يأتي يوم عودة سحر من لندن مع زوجها الدكتور أحمد بعد نهاية فترة الدراسة هناك، وأصبح يحمل شهادة الدكتوراه وهي تشعر بالفخر والسعادة بأنّها زوجة الدكتور أحمد، ومما زادها فخراً بأنّها حصلت هناك على الشهادة الجامعية التي كانت تحلم بها.

فهي من الناحية الاجتماعية لا تقل عنه في شيء أمام الآخرين، ولم تنسَ أيضاً عند عودتها بأن تحمل معها العديد من الحقائب التي بداخلها آخر ما صادفته من الموضة الأوروبية، ولم تنسَ بأن تملأ حقيبة لأمها الحبيبة وأخرى للأخت الغالية نور.

عندما علمت نور بعودة سحر من أوروبا تذهب إلى بيت أمها لتلتقي بها هناك.

أخذت تنظر نور إلى سحر وهي مبهورة بها، لقد تغيرت بالفعل ولم تعد سحر التي تعرفها، فهي عندما تتحدث معها بعد كل جملة عربية وأخرى لا تنسى بأن تتحدث بكلمة إنجليزية؛ فهي قادمة من أوروبا ويجب أن يراها الناس بصورة أخرى وبثقافة أوروبية مختلفة عن الثقافة العربية التي يعيشونها.

مدت يدها إلى أحد الحقائب وهي تقول لنور هذه الحقيبة لك أتمنى بأن تكوني راضية عن ذوقي في اختياراتي لك.

تنظر نور إليها وهي تبتسم:

- ذوقك راقٍ يا سحر وأنا أعرفه منذ سنين ولا يهمني من ذلك غير عودتك إلينا بالسلامة.

ثمّ تقول لسحر وهي ضاحكة:

_ هل تعلمين بأنّ هذه الحقيبة التي أحضرتها معك قد أنقذتني من موقف كنت محرجة منه تماماً ولا أعرف ماذا سأفعل؟

تنظر سحر إلى نور في دهشة:

- ماذا حدث؟

تكمل نور حديثها وهي في حالة من الخجل:

_ أبداً.. إنّ زواج منار بعد أسبوع من الآن وكنت حائرة مع نفسي كيف سيكون مظهري في حفل الزفاف، والكل يعرف بأنني زوجة أخيها.

تقول سحر وهي لم تفهم ما قصدته نور من كلامها:

_ وما الغريب في ذلك؟

تكمل نور حديثها وكأنّها تخرج الكلام بصعوبة منها:

- كنت أفكر في ثمن الفستان الذي سوف أشتريه لحفل الزفاف وأنا لا أملك ثمنه، سعيد دخله من الورشة في بعض الأحيان يكون ضعيفاً جداً فلن يستطيع أن يدفع ثمنه.

أخذت سحر تتأمل نور وهي تشفق عليها من وضعها المعيشي الذي لا تتمناه أي فتاة تبحث عن الاستقرار والسعادة

ثم قالت:

- لا غرابة فيما تقولين واحدة مثلك وفي جمالك تضيع شبابها وأجمل أيام عمرها مع رجل فقير يعمل في ورشة لإصلاح السيارات سيكون له الأثر النفسي على حياتك الزوجية والاجتماعية أمام الناس.

ثمّ تكمل سحر حديثها بكل فخر واعتزاز منها وكأنها تلقن نور بعض الدروس في الحياة:

- أنا مثلاً.. كنت في الماضي في مستواك العلمي نفسه وبحاجة للمال، ولدي أحلام كثيرة مثل أي فتاة تبحث عن السعادة والحب والاستقرار حتى ظهر في حياتي الدكتور أحمد وتزوجت منه، بدأت حياتي تتغير نحو الأفضل، بعد

مرافقتي له إلى أوروبا رأيت العالم والتقدم الحضاري على حقيقته ورأيت بأنني يجب أن أحصل على فرصتي من التعليم وأطور من نفسي بجانب أنني أصبحت زوجة الدكتور أحمد الاسم والمركز الاجتماعي الذي أفخر به أمام الناس ولا أخفي عليك بأنّ الدكتور أحمد لا يبخل عليّ بشيء.

أحتاجه فهو رجل يرى بأن له مركزه الوظيفي والاجتماعي ويهمه بأن تكون زوجته بصورة جميلة أمام المجتمع، نحن الآن نقيم في أحد فنادق الخمس نجوم حتى نحصل على السكن المناسب لنا لنقيم فيه، أنا اقترحت عليه بأن نشتري فيلا ذات حديقة واسعة من أجل أن أستطيع ممارسة الرياضة كلّ صباح بعيداً عن زحمة الناس وإزعاج السيارات.

تستمع نور إلى كلام سحر وكأنّ الذي تسمعه منها لا يعنيها، الذي يحزنها بداخل نفسها بأنّ سعيد أصبح يهملها ولا يهتم بها، معظم وقته خارج البيت بين الورشة والسهر مع الأصدقاء إلى وقت متأخر من الليل، حتى ابنته ريم لم يعد يهتم بها مثل السابق، وكأنّ غريزة الأبوة نزعت من قلبه، حاولت بأن تتحدث معه عدة مرات بأن يغير من أسلوب حياته، لكنّه في كلّ مرة يصرخ بوجهها ويتهمها بأنّها زوجة لا تقدر التعب الذي يبذله كل يوم للحصول على المال من أجلها ومن أجل ابنتها.

بعد حفل زفاف منار بأربعة أيام يرحل أبو سعيد تاركاً هذه الحياة بعد أزمة قلبية لم تمهله غير بضع ساعات، حاول الأطباء إنقاذ حياته لكن الموت اختاره ليمضي مع قافلة المودعين من أبناء جيله الذي بدأ يغادر

بصمت، بعد رحلة كفاح طويلة من التعب، حان لها أن تتوقف لتبدأ الحياة بمسيرة أخرى مع أجيال آخرين.

بعد رحيل أبي سعيد بدأت تنشب خلافات ما بين سعيد وأخيه وليد حول الميراث المالي الذي يتم اكتشاف بأنّ الأموال قد صرفت كلها ولم يتبقَّ غير البيت الذي يسكنه سعيد مع أمه الحزينة على رحيل أبي سعيد رفيق عمرها، ومما زاد من حزنها تلك الخلافات التي بدأت بين أبنائها حول البيت الوحيد الذي تبقى لهم من هذه الحياة.

لكن وليد يصر على بيع البيت وكل واحد حر في نصيبه من المال بعد ذلك، فلن يدع لسعيد فرصة أخرى بعد ذلك للاستيلاء على البيت كما استولى على الأموال التي لا يعرف أين ذهبت بعد رحيل أبيه، وليس هناك غير سعيد الذي يتهمه بأنه هو من أخذ تلك الأموال وبدّدها على سهراته كل ليلة مع أصدقائه.

الأم تتساءل أين سوف يكون مصيرها بعد بيع البيت وأين ستذهب بعد ذلك.

فيقول لها وليد: الخيار لك بأن تسافري وتبقي معي في بيتي مع زوجتي، والخيار الآخر بأن تبقي مع سعيد بعد أن يتخذ له مسكناً آخر من ثمن بيع البيت.

تحاول منار بأن تُبقي أمها معها، لكنّها تقرر أن تبقى مع سعيد، فهو أكثر من عاش معها في بيت واحد، وترتاح مع زوجته نور، ولا تفضل بأن تغادر المدينة التي عاشت بها أحلى سنين عمرها مع أبي سعيد حتى مماته.

يتم بيع البيت وكل واحد من الورثة يحصل على نصيبه من المال.

يعود بعدها وليد إلى عمله وبيته مع زوجته منى، لكنّ سعيد يتخذ قراراً كان صدمة لأم سعيد وزوجته نور.

لقد قرر بأن تسافر الأم إلى وليد للعيش معه، ونور تعيش هي وابنته ريم في بيت أم نور حتى يستطيع بأن يجد السكن المناسب لهم، تسافر الأم إلى وليد وهي بداخل نفسها حزينة على فراق المكان الذي أمضت به معظم سنين عمرها إلى مدينة لا تعرفها، وهي التي لم تسافر قبل ذلك خارج مدينتها التي تألف فيها الناس والشوارع، لكن ليس أمامها خيار آخر غير الموافقة والصمت، لقد تغيّرت حياتها من بعد رحيل أبي سعيد بعد أن كانت صاحبة بيت ومكان أصبحت ضيفة على أبنائها وزوجاتهم، لا تملك من أمرها شيئاً.

استقبل وليد أمه في بيته مرحباً بها بعد أن خصّص لها إحدى الغرف وهو يقول لها:

_ هذه الغرفة الخاصة بك يا أمي وهذا الحمام الذي بجوارها سيكون خاصاً بك أيضاً.

ترحب بها زوجته منى وبداخل نفسها لا تريد بقاءها لحظة واحدة في البيت، لكنّها التزمت الصمت وهي تقول في نفسها لماذا اختارت العيش مع وليد ومعي، ولم تبقَ مع ابنها سعيد وزوجته نور، أو تذهب للعيش مع ابنتها منار وزوجها؟ سأقوم معها بواجب الضيافة لأيام قادمة فقط مثل أي ضيف آخر، وبعدها ترحل عن بيتي إلى مكان آخر، فهي لست بأمي ولن تهمني أبداً.

من جانب آخر اصطحبت نور ابنتها ريم وذهبت بها إلى بيت أمها التي بقيت وحيدة من بعد رحيل زوجها وزواج سحر ونور، فرحت ببقاء نور معها وابنتها ريم التي سوف تملأ حياتها بهجة وتبدد الوحشة عن البيت حتى تتحسن ظروفهم ويجد سعيد البيت المناسب لهم.

اقترحت الأم على نور بأن يأتي سعيد ويعيشون هنا معها في بيتها، فهي وحيدة ولا تحتاج منه غير غرفة نومها، والباقي ستتركه لهم فهي لست بحاجة له.

لكنّ نور ترفض الفكرة وهي تقول:

_ سعيد معه الآن المال الذي يستطيع بأن يشتري به السكن المناسب، وإن بقيت هنا سوف ينفق المال من بين يديه على سهراته كل ليلة ولن يهتم لذلك.

لكن سحر لها رأي مختلف، هي ترى بأنّ سعيد لا يستحق الزواج من نور، وهناك الرجال من أصحاب المال والمراكز العالية من يتمنون الزواج من نور،

ويجب أن تخرج سعيد من حياتها، وتبعد عن هذه العائلة التي أصبحت مشتتة في تصرفاتها وأفكارها من بعد رحيل أبي سعيد، ولا يكاد يأتي يوم دون السماع بمشكلة جديدة لهم.

آخر مشكلة ظهرت في بيت وليد بسبب زوجته منى ورغبتها في خروج أمه من البيت؛ فهي لا ترغب في وجودها معها أبداً.

وعندما صرخ وليد بوجهها وهو يقول بأنها أمي ولن أسمح بأن تتجاوزي حدودك معها.

أخذت تصرخ هي أيضاً بصوتها وتقول:

_ وأنا أيضاً لن أسمح لها بأن تقيم معي هنا في هذا البيت.

يشتد غضب وليد ويقول:

_ إنها امرأة أصبحت كبيرة في السن، وليس لها غير أبنائها فأين تريدين لها أن تذهب؟

تقول منى بكل سخرية منها:

_ أنت تقول ليس لها غير ابنائها فأنت لست ابنها الوحيد، لماذا لا تذهب إلى بيت سعيد أو بيت منار، فهي ابنتها ومسؤولة عن أمها، وأنا لست خادمة لديكم يا وليد.

يحاول أن يلتقط أنفاسه من شدة الصراخ والغضب:

_ سعيد ليس لديه بيت في الوقت الحاضر.. ومنار لن ترضى أمي بأن تذهب إلى بيتها؛ لأنّ زوجها ليس بقريب لنا وهي تفضل بأن تبقى في بيتي أو بيت سعيد بعد أن يجد السكن في الأيام القادمة.

أشارت منى بيدها نحو الباب وهي تقول:

_ الآن تخرجها من بيتي، فأنا لست مسؤولة عن ظروف أمك وظروف سعيد، فأنا تزوجتك أنت ولست مسؤولة عن أحد غيرك.

اقترب وليد منها وهو يقف أمامها:

_ وإذا قلت لك بأنّ أمي لن تخرج من بيتي ماذا سيحدث؟

قالت وهي تتحداه بغضب شديد:

_ إذاً سأترك هذا البيت في الحال، لأنّني لن أقبل منك بأن تضعني في مقارنة مع واحدة مثلها.

في هذه اللحظة يفقد وليد أعصابه وأخذ يصفعها على وجهها عدة مرات، وهي تصرخ بصوتها:

- ستدفع ثمن ما فعلته معي، كيف تجرأت برفع يدك على ابنة اللواء عبد الرحمن الذي كنت تحلم يوماً بأن تتزوج من ابنته أيها المجنون.

يقترب وليد منها وهو ممسك بيدها ويقول لها:

- من بعد هذا اليوم لن تكوني زوجة لي، فأنت طالق ويمكنك الذهاب إلى بيت اللواء عبد الرحمن الذي ترددين اسمه أمامي منذ زواجي منك، وكأنّني قطعة أثاث اشتريتموها وأصبحت من أملاككم الخاصة.

اذهبي إليه، فكلّ أموالكم لن تعادل دمعة من عين أمي لن أتخلى عنها أبداً، فأنا أرفض من تضعين أمي في مقارنة معك

تذهب منى إلى بيت أبيها وهي تكفكف دموعها وتطلب منه بأن ينتقم لها من هذا الحيوان المتوحش كما تصفه، وبأنها كادت تفقد حياتها بين يديه بعد أن انهال عليها بالضرب من أجل إخضاعها خادمة لأمه.

عندما حاول اللواء عبد الرحمن الحديث حول الموضوع مع وليد رفض الكلام وهو يقول:

_ ليس لديك عندي غير ابنتك التي لم تحسن تربيتها، وهي الآن في بيتك وقد طلقتها ولا شيء لك عندي بعد ذلك.

أخذ اللواء عبد الرحمن يهدد ببعض كلمات وبأنه يستطيع بأن يفعل معه ما سوف يجعله يندم على ما فعله مع ابنته، لكن وليد حسم الموقف وهو يقول:

_ ليس لديك سلطة في هذا البلد غير ما سمحت لك به الدولة في حدود عملك واختصاصك لخدمة الشعب والوطن، وأي تجاوز منك ستكون تحت طائلة القانون الذي سوف يعاقبك على ما تفعله معي من تهديد، وقد تفقد وظيفتك بسبب بعض الحماقات التي ترتكبها من أجل ابنتك المدللة التي لا تعرف من هذه الحياة غير ألوان الأحذية والفساتين التي تسعى بأن تمتلكها من الأسواق كل يوم.. اذهب بعيداً عني أنت وابنتك، لا أريد أن أراكما بعد ذلك.

أخذت أم سعيد تبكي وهي تلوم نفسها بأنها هي من كانت السبب في انهيار حياة ابنها وليد، وتمنت بأنّها لم تأتِ إلى بيته أبداً.

وهكذا أخذت تزداد المشاكل في العائلة وأم سعيد حائرة بين سعيد ووليد ولم تعد قادرة على احتواء تلك المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة لها.

قد تكون ابنتها منار هي أكثر حظاً ونجاحاً من سعيد ووليد، فهي في حالة انسجام وتفاهم مع زوجها واستطاعت بتشجيع منه بأن تكمل دراستها حتى حصلت على الشهادة الجامعية.

بعد طلاق وليد من منى قرر بأن يعيش مع والدته، وأن يبعد فكرة الزواج عنه نهائياً، فلن يأتي بامرأة أخرى تضايق أمه.

أو تلمح له بطردها من بيته بعد ذلك، أما سعيد فلم تستقر حياته بعد، فهو ما زال على سهره كل ليلة مع أصدقائه بعد أن ينتهي من عمله في ورشة السيارات.

وزوجته نور ما تزال تقيم في بيت أمها مع ابنتها ريم، وهي تنتظر متى يأتي اليوم الذي يجد فيه سعيد ذلك السكن الذي يزعم بأنه ما زال يبحث عنه، لكن فترة الانتظار أخذت تطول ولم ترَ منه ذلك الاهتمام، وبدأت تلاحظ بأنّها لم تعد تراه بصفة دائمة يأتي إليها في وقت غير محدد بعد أيام أو أسبوع وأحياناً يمضي شهر كامل دون أن تراه.

فقررت بأن تواجهه وتعرف منه سبب إهماله لها هي وابنتها.

أخذ يراوغ معها في الكلام ويدعي بأنه مشغول طوال اليوم في الورشة ولا يجد الراحة التامة في بيت أمها، ولهذا السبب يفضل بأن يبقى مع أصدقائه غير المتزوجين ينام عندهم ويمضي وقته هناك، وهو ينتظر حتى يأتي اليوم الذي يجد فيه البيت الذي يجمعهم مع بعض من جديد.

بدأت نور تتضايق من تصرفات سعيد وتفقد الثقة فيه ولم تعد تحتمل هذه الحياة القاسية معه، تقترح عليها أختها سحر بأن تبحث لها عن عمل مناسب لسد حاجتها هي وابنتها ريم التي بدأت أول مراحلها الدراسية وتحتاج لبعض المال لتغطية مصروفاتها.

لكن نور في حيرة من أمرها فهي لا تحمل حتى الشهادة الثانوية، ولن تجد فرصتها في العمل، فهم يشترطون عليها الشهادة الجامعية للموافقة لها على العمل لديهم.

فتقول سحر لها: ليس هناك مشكلة في ذلك من خلال علاقاتي في المجتمع أنا والدكتور أحمد سوف نبحث لك عن العمل المناسب، ولكن بشرط إكمال دراستك بعد ذلك.

بعد عدة أيام تأتي سحر وتخبرها بأنّ الدكتور أحمد له صداقة مع الأستاذ يوسف وهو مدير أحد البنوك ومن خلاله ستأخذين فرصتك الوظيفية في البنك.

وبالفعل يتم إصدار قرار بقبول نور بالعمل في البنك براتب شهري سوف يغنيها عن سعيد، ولم تعد بحاجة إليه الذي كان أحيانا يمدها بالمال وأحياناً يصرخ بوجهها ويقول:

- ليس عندي مال لأعطيك.

بدأت نور تجتهد في عملها لإثبات وجودها بين زملائها في البنك، لقد أصبح العمل هو كل حياتها فهو المصدر الوحيد لها لتستطيع العيش في هذه الحياة، وتحاول أن تلبي جميع طلبات ابنتها ريم ومستلزماتها المدرسية، فهي تكاد تعتمد على أمها في كل شيء لأنّ وجود أبيها مثل غيابه لا يهمه من هذه الحياة غير نفسه.

حتى والدته وهي تعيش بعيدة عنه في بيت وليد قد يمضي شهر أو شهران دون أن يفكر في زيارتها أو الاتصال بها ليطمئن عليها.

تنتظر المسكينة منه الاتصال فلا تجد أي مبادرة منه بذلك، فتحاول هي من تتصل به وأحياناً تؤنبه على حالة الضياع التي يعيشها فتقول له:

- أنت لا تستحق هذه الزوجة التي تهملها ولا تستحق تلك الابنة المسكينة التي لا تكاد تسأل عنها...

تنظر أحيانا إلى حال وليد وتجربته القاسية مع الزواج، وتقول: تمنيت بأنني اخترت نور زوجة له لكان حالها معه أفضل من حالها معك.

عندما يسمع وليد هذه الكلمات من أمه يشعر بالألم والحزن ويتمنى بداخل نفسه لو كانت بالفعل نور زوجة له لكانت حياته أفضل من ذلك.

بجانب أنه يتضايق من تصرفات أخيه سعيد وطريقة تعامله مع نور وهي الفتاة الرقيقة التي يعرف مشاعرها وحساسيتها المفرطة نحو الأشياء وتعاملها الهادئ مع الآخرين.

يحاول بأن يحبس دموعه وهو يقول في نفسه: لماذا حرمت من المرأة التي أحببتها وتزوجت هي بمن لا يعرف قدرها ويحترمها!

بالنسبة لنور الآن بدأت تواصل نجاحها من خلال عملها في البنك، وأصبحت تعرف أسماء مختلفة من فئات المجتمع وهي تقول في نفسها:

لقد رأيت الحياة الآن وجمالها وأنا التي لم أكن أرى ذلك، وأنا في عزلة مع نفسي داخل بيت سعيد طيلة سنوات عمري التي مضت.

فتقول لها سحر:

هذا هو مكانك الصحيح الذي كنت أتمنى بأن أراك فيه، ولكن بقي شيء ينقصك لتكوني في مكان مرموق يليق بك.

- نور تتساءل: ما هو ذلك الشيء؟

- فتقول لها سحر وهي تحاول بأن تدفعها إلى طريق النجاح: أن تكملي تعليمك حتى تحصلين على الشهادة الجامعية و... ثمّ صمتت وكأنّها مترددة فيما سوف تقول.

تنتظر نور منها المزيد وهي في شوق لمعرفة بقية كلامها أكملي يا سحر، لعلّ هناك شيء ينقصني وأنا لا أعرفه؟

سحر وهي تخرج كلماتها بتردد منها:

_ لكنّني أخشى بألّا يعجبك ما سوف تسمعينه مني.

_ لماذا أغضب يا سحر أنتِ أختي وأعتقد بأنني سأسمع منك شيئاً يفيدني في مستقبلي، خصوصاً بأنك امرأة متفتحة أكثر مني على العالم.

بعد تردد منها تقول سحر:

_ أرى بأنك الآن في مرحلة أخرى من حياتك وستتغير إلى الأفضل بعد الانتهاء من دراستك بعد سنوات، أرى بأنّ سعيد لم يعد مناسباً لك.

تنظر نور إلى سحر بعصبية منها:

_ هذا لا يعني يا سحر بأنني وافقتك على العمل في البنك واقتنعت معك بأن أعود وأكمل دراستي من جديد، بأنني سأتخلى عن سعيد، أنا أفعل ذلك من أجل ريم ومستقبلها وظروف سعيد المادية صعبة جداً هل تفهميني؟

سحر وهي في حالة اشمئزاز عندما سمعت اسم سعيد:

_ ومن يكون سعيد هذا الذي تحرصين عليه كزوج لك، إنه مجرد عامل في ورشة للسيارات والأهم من ذلك بأنه لا يحترم وجودك في حياته كزوجة له.

أنهت سحر كلامها مع نور، وهي كمثل الذي رمى بحجر في مياه راكدة فعكر صفوها؛ لأنّ نور بدأت تفكر في حياتها مع سعيد وهي ترى بأنّ ليس هناك مستقبل مشرق معه، فقررت بأن تنتظر بعض الشيء حتى ترى هل ينفذ معها وعده في البحث عن السكن الذي وعدها به بعد عدة أيام.

ثمّ انتظرت بعض أيام، لكنّها لم تجد أي أمل يظهر أمامها في الأفق، وأن سعيد لن يهتم بالبحث عن السكن لهما، وكأنّ وجودها في بيت أمها أصبح مناسباً له، يأتي وقتما يحتاج رؤيتها ورؤية ابنته ريم، وبعد ذلك ينطلق في حياته خارج نطاق المسؤولية التي يرى بأنها تضعه في سجن لا يستطيع احتماله.

يتفاجأ سعيد بقرار نور بأنها تطلب منه الطلاق.

وأن يعيش حياته كما يراها بعيداً عنها، وبعد عدة نزاعات بينهما يتدخل بعض من العائلة بفصل ذلك النزاع وينتهي بالطلاق وبقاء ريم بالعيش مع نور وقت ما أراد سعيد رؤيتها فهي ابنته فلا مانع لديها من زيارتها.

تنطلق بعدها نور في حياتها العملية وتنشغل بدراسة ابنتها ريم وتطوي صفحة من عذاب الماضي وهي تشعر بالراحة والاستقلال بعيداً عن المشاكل التي كانت تشغلها.

وبعد أن مضى عام على موضوع الطلاق يتعرض سعيد إلى حادث مروري يودي بحياته، وتشعر نور بالحزن الشديد على موته لشعورها بأنّ ابنتها اصبحت يتيمة الأب.

هذا ما يجعلها بعد ذلك تهتم بريم أكثر من المعتاد لأنّها هي الآن الأم والأب ويجب عليها أن تقوم بهذا الدور من أجل سعادة ابنتها الوحيدة.

بعد رحيل سعيد يقترح وليد على أمه بأن يتزوج من نور من أجل رعاية ابنة أخيه فهي تحتاج منه حنان الأبوة التي تفتقدها الآن، لكن وليد يتفاجأ بخبر من أمه بأنّ نور رفضت فكرة الزواج، وتريد بأن تعيش بقية حياتها من أجل ابنتها وهذا هو ما يشغل تفكيرها الآن.

أخذ وليد يفكر وهو في حالة صدمة وذهول من موقف نور، ولماذا ترفض الزواج منه وهي تعلم بأنها كل حياته وعشقه الأبدي.

تحاول أمه إقناعه بالزواج من أي امرأة أخرى هو من يختارها، لكنّه يرفض أي شيء له علاقة بالزواج بعد تجاربه السابقة التي واجهها بالفشل.

وعند سؤال أمه له كيف ترفض فكرة الزواج وأنت قد طلبت مني بأن ترتبط بزوجة أخيك بعد رحيله.

يتلعثم في الكلام وهو يحاول بأن يجد له العذر الكافي..

لقد طلبت الزواج من نور من أجل ريم، فهي طفلة مسكينة تفتقد لحنان الأب وأنا أقرب الناس لها، ويمكنني بأن أعوضها عن غياب أبيها، ولكن هدفي ليس من أجل فكرة الزواج نفسه فأنا في الوقت الحاضر أرفضها ولا أفكر فيها.

عندما تسمع أمه هذا الكلام تقول: رحم الله سعيد، ريم يجب أن تعيش في رعاية نور، فأنا أراها تفعل كل ما تستطيع من أجل إسعادها، وأنت يا وليد يجب أن ترى حياتك فأنا لا يعجبني ما تفعله هكذا مع نفسك، ثمّ يقول لها: صحيح يا أمي يجب أن أرى حياتي وستسمعين عني كل ما يسعدك في الأيام القادمة.

يحاول وليد بأن يلتقي مع نور من أجل أن يقنعها بالزواج منه، لكن نور تقول له: لقد أخبرت أمك بكل ما عندي

ينظر إليها وهو في دهشة مما يسمعه منها:

_ نور أنا لا أصدق بأنك أنتِ من تقولين هذا الكلام..

فأنت تعلمين بحبي لك منذ سنين طويلة ولا يمكن لامرأة بأن تأخذ مكانك في قلبي.

تحاول نور أن تهرب بنظراتها للبعيد عنه وهي صامتة وكأنّها لا تسمع ما يقول.

وليد ينظر إليها في حالة يأس وحزن ويقول:

_ نور... أنا أعلم بأن زواجك من سعيد هو من كان يبعدك عني برغم ثقتي بأنك كنتِ تحبينني، لكن الآن السبب الذي كان يمنعك عني راح وانتهى، فلماذا تضيعين فرصة أتت إلينا من أجل تحقيق حلمنا.

تتعجب نور مما يقول:

_ قد يكون موت سعيد سبباً آخر يبعدني عنك، وهو موجود بيننا من خلال ابنته ريم التي أراه من ملامح وجهها كلّ يوم

ثم تقول:

وهل موت أخيك كانت أمنية تخفيها بنفسك والآن سعيد بأنها قد تحققت أمام عينيك؟

وليد يحاول أن يعترض على كلامها:

_ لا... يا نور... لا تقولي ذلك، فأنت تعلمين بأنني أحبّ سعيد ومن أجله كتمت حبك في قلبي كل هذه السنين، هو أخي واليوم أنا في حزن وأفتقده بشدة.

لكن الطبيعي بأنك سوف تتزوجين من غيره بعد رحيله وهذا هو طبع الحياة التي نعرفها، فأنا أقرب لك من أي رجل آخر سوف ترتبطين به، وأنا أفكر في ريم لتكون قريبة مني أيضاً.

_ كلامك غريب جداً يا وليد ولا تدرك ماذا تقول، من قال لك بأنني سوف أتزوج من بعد سعيد، بالنسبة لريم ليس هناك أحد سوف يعوضها عن حنان أبيها حتى لو كنت أنت.

يقترب منها وليد وهو ينظر لعينيها وهل نسيتِ ما كان بيننا ونحن في عهد الطفولة يا نور؟

تقول نور وهي تحاول الابتعاد عنه:

_ مشكلتك يا وليد بأنك ما تزال سجين مشاعرك في الماضي وتريد بأن تبقى في ذلك الزمن الذي لم يتغير بداخلك.

_ نور.. ماذا تقولين؟

_ وليد.. اسمعني جيداً ما كان بيننا مجرد براءة أطفال وليس حباً بمعنى الحب الحقيقي كما تصفه بمخيلتك.

_ معنى ذلك بأنك ترفضين حبي؟

أخذت تقترب منه وهي تحاول إقناعه:

_ الحياة تتغير والمشاعر أيضاً تتغير، ما كنا نراه بالأمس جميلاً قد نراه اليوم لا قيمة له.

ينظر إليها بحزن ويقول:

_ أنا لا أصدق بأنك نور التي أحببتها، لقد تغيرت مشاعرك وتغيرت أفكارك وتغير فيك كل شيء.

يمضي وليد في طريقه دون أن يلتفت إليها، وقد كانت صدمة له بأن يسمع ذلك الكلام منها وهي التي كانت حلمه الذي يرى حياته من خلاله.

يقرر العودة إلى المدينة التي بها مقر عمله وهو لم يعد يعلم حقيقة مشاعره من ناحية نور، هل يكرهها بعد هذا الكلام الذي سمعه منها أم ينساها ويعيش مع امرأة أخرى أم سيبقى على ذكرى حبه في الماضي لها.

يمضي عدة سنوات وهو يرفض الزواج، ثمّ ترحل والدته مودعة الحياة، ويبقى وليد وحيداً يعيش مع هواجسه وأحلامه الزائفة التي يرى بأنها ستتحقق له في يوم من الأيام وسيتزوج من نور التي أصبح لا يرى امرأة سواها.

في يوم يسمع بخبر يقع فوق رأسه كالصاعقة لقد تمت خطبة نور إلى مديرها بالبنك، وسوف يتم الزواج بعد أشهر قليلة من بعد حفل الخطبة.

والفضل في ذلك لسحر التي حاولت إقناعها بأن هذا هو مستقبلها وهذا هو عالمها الجديد وحياتها التي يجب أن تعيشها بعيداً عن عائلة سعيد التي لم تعد تتناسب مع واقعها الآن.

بذلك يفقد وليد الأمل في الزواج من نور بعد قرارها بالزواج من شخص آخر، هذا يعني بأنّها لم تعد تهتم لأمره ولا يعني لها شيئاً.

في لحظة يأس منه يقرر الزواج من امرأة لا يعرف عنها أي شيء؛ لأنها أتت إليه بترشيح من أخته منار، التي أخذت تحثه على الزواج من بعد رحيل والدتهما وهو وحيد ويحتاج من يهتم به.

خضع وليد لكلام منار وهو يعلم في نفسه بأنّ هذه المرأة لن تجلب له السعادة أبداً طيلة فترة حياته مهما حاولت بأن تقدم له من تنازلات مقابل سعادته لأنّ لديه شعوراً بداخله بأن نور هي الوحيدة التي يرى سعادته وحياته بجانبها.

وهذا شيء ليس بيده، ولكن مشاعره هي من أصبحت تتحكم به وتلغي عقله تماماً في مجرد التفكير بأن ينسى يوماً من الأيام قصة عشقه لنور.

يبدو بأنّ وليد تجاوز مرحلة العشق والغرام وهو الآن في مرحلة التعلق الشديد بامرأة، أصبحت متزوجة ولديها ابنة. أخذت تكبر عاماً بعد عام ولها حياتها الخاصة التي يرفضها ولا يعترف بشيء آخر غير أن تصبح نور زوجة له.

بعد تفكير عميق مع نفسه قرر أن يلتقي مع أخته منار ويصارحها بكل شيء يدور بداخله، فهو يكاد يختنق ولا يحتمل هذه الحياة التي لا تعجبه.

اقترب من منار بصوت مرتجف وهو يقول:

_ اسمعيني يا منار أنا اتخذت قرار مع نفسي، ولكن أرجوك افهميني.

_ ماذا حدث يا وليد تكلم؟

_ لقد اتخذت قرار مع نفسي بعدم الزواج من الفتاة التي تقولين بأنها مناسبة لي.

_ لا.. يا وليد أرجوك إنها أعز صديقة عندي وقد حدثتها عنك كثيراً حتى اقتنعت بك زوجاً لها، وأخبرت عائلتها بأنك ستأتي إليهم لخطبتها.

يلتفت وليد إليها بعصبية لا يقصدها:

_ من قال لها بأن تتصرف بهذا الغباء؟

منار وهي تحاول أن تتمالك أعصابها:

_ أنا تحدثت معك في الموضوع وأنت وافقت، ما الذي جعلك تتراجع بهذه السرعة؟

_ أنا لم أعطِك موافقة تامة.. كنت أحاول أن أرضيك فقط.

_ لا تحاول أن تراوغ بالكلام معي..

لقد وافقت على ذلك، صارحني يا وليد ماذا حدث حتى تضعني أمام صديقتي بهذا الموقف السخيف.

_ لم يحدث شيء؟

أخذت تبكي منار وهي تقول: لقد مات سعيد وأنت الآن أخي الوحيد يجب أن تكون قريباً مني وتحدثني بما يدور بداخل نفسك لقد تغيرت يا وليد ولم أعد أفهمك؟

سقطت الدموع من عينيه بدون إرادة منه وهو يحاول بأن يخفيها عن أخته منار.

نظرت إليه وهي تقول:

_ ما هذه الدموع يا وليد لم أرَك بهذه الحالة السيئة قبل هذا اليوم؟

بقي على صمته ولم تسمع منه أي إجابة تريحها فقالت:

_ وليد إن صمتك هذا يقتلني، إن كنت تحبني صارحني بكل شيء أرجوك؟

_ كفكف دموعه بيديه وهو يحاول بأن يخفي وجهه عنها، فقال لها بصوت مختنق:

_ أنا تعبان يا منار.. تعبان جداً.

_ لماذا لا تذهب إلى المستشفى إذا كنت مريضاً بالفعل؟

_ يا منار أنتِ لا تفهمينني؟

_ طيب.. فهمني أرجوك؟

_ أنا لست مريض في جسدي أنا بخير، إنّ التعب في داخلي في روحي وقلبي أتفهمين؟

تنظر إليه وهي في حيرة من أمرها:

_ وما الذي يتعب قلبك يا وليد؟

أخذ يصرخ بصوته، وكأنّه يتألم من شيء في جسده:

_ أنا أحمل عذاب سنين في داخلي حتى أصبح هذا العذاب نار وجحيم لم أعد أقدر على احتمالها.

_ لم أفهم منك شيئاً؟

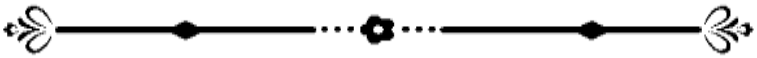

يا منار.. أنا أحمل في قلبي عشق امرأة منذ سنين ولم أستطع بأن أحب امرأة غيرها أو أتزوجها.

_ إذاً لماذا لا تتزوجها؟

_ لا أستطيع الزواج منها لأنّها مرتبطة برجل آخر.

نظرت إليه منار بغضب..

_ كيف تحب امرأة متزوجة يا وليد هل فقدت عقلك؟

_ ألم أقل بأنك لن تفهميني؟

_ إذا استمررت بالحديث معي بهذه الطريقة التي تحدثني بها لن أفهمك، قل ما عندك بصراحة تامة معي

يشير لها بيده بالجلوس على المقعد المجاور له، ثم قال:

_ ما ذنبي أنا إذاً كنت أحببتها منذ صغرها وصغري وكانت كل أمنياتي قبل أي رجل آخر؟

أخذت تنظر منار إليه:

_ من هي التي أحببتها منذ صغرها وصغرك ونحن كنا لا نعلم بذلك؟

يقترب منها وليد أكثر وهو يطلب منها وعد بكتمان ذلك.. ثمّ يقول لها وهو مطمئن:

_ إنها نور.

_ نور؟ هناك الكثيرات من يحملن نفس الاسم.

_ أعني.. نور ابنة جارنا محمود.

أخذت تفكر ثواني، ثم صرخت بأعلى صوتها:

_ تعني نور زوجة سعيد؟

وأخذ يهز رأسه بأنها هي:

_ أنا لا أصدق ما أسمعه منك يا وليد تحب نور زوجة أخيك أنت مجنون.. مجنون.

_ اهدئي يا منار.. أنا قلت بأنني أحببتها منذ صغرنا يعني قبل زواجها من سعيد.

_ لكنّها بعد ذلك أصبحت زوجة أخيك فكيف تفكر بها وهي زوجة لغيرك؟

_ لا.. لا تظلميني يا منار..

أنا احترمتها بأنها زوجة أخي وحاولت بأن أنسى كل الماضي من أجل سعادة أخي سعيد، حاولت الابتعاد عن حياتهما وضحيت بدراستي في الجامعة التي كنت أحلم بها، واكتفيت بدراستي الثانوية والبحث عن أي وظيفة تبعدني عن بيت العائلة، وأنتِ تذكرين حينها قراري في الإقامة في مدينة أخرى بعيدة عنكم.

_ نعم أتذكر ذلك..

أكمل البقية لو سمحت

_ أبدا لقد حاولت أن أعيش حياة أخرى مختلفة وتزوجت من هدى لعلّني أجد لديها السعادة والحب الذي يجعلني أنسى الماضي وأعيش في سعادة

كنت أحلم بها ولم أجدها، لقد قدمت هدى لي الحب والاهتمام وحاولت بكل ما تملك من مشاعر لديها بأن تسعدني كزوج أحبته بكل صدق وتضحية.

_ ولماذا طلقتها بعد كل هذا الحب الذي قدمته إليك؟

_ قد يكون العيب بي أنا لأنني بالفعل لا أستحقها.

_ لماذا لم تأخذ وقتك معها قد تتغير حياتك وتشعر بها كزوجة بجانبك؟

_ لو أمامك كأس مليء بالماء، فلن تستطيعي إضافة المزيد من الماء إليه، وأنا قلبي مثل الكأس الذي ملئ بحب نور ولم يعد يحتمل المزيد من بعدها.

_ أعتذر لك يا وليد عما سأقوله لك...

أنا أرى بأن نور امرأة عادية الجمال وليس لديها صفات تجعلك تميزها عن بقية النساء، ولكن هدى كانت تفوقها بالجمال، وكانت تحبك وتحترمك كزوج لها كما ما ذكرت لي أنت عنها.

_ قلت لك في بداية حديثي معك بأنك لن تفهميني ولن يفهمني أحد آخر.. نور بالنسبة لي روح حياة أخرى أرى سعادتي فيها، لا يهمني من تكون أجمل منها لأنني أراها هي الأجمل بعيني أنا، هي عالمي الذي اخترته وبدونها أشعر بأنني مثل شريد لا حياة لي وبأنني أقترب من الموت.

_ تقول الموت؟

هذا ليس حباً ولا عشقاً، هذا نوع من الانتحار والجنون.

_ صدقتِ يا منار إنه نوع من الجنون بالفعل، أنا أصبحت مجنوناً بها، ولن تستمر حياتي بدونها.

_ لقد تزوجت من مديرها في البنك، واختارت بأن تكون زوجته ولم تفكر بك، وتقول لي بأنكما تحبان بعضكما منذ الصغر.

_ أرجوك يا منار.. أنا لا أحتمل منك هذا الكلام القاسي.

_ يا وليد.. أنت لا تعلم بأن نور تغيرت كثيراً، وأصبحت نسخة أخرى من أختها سحر التي تحركها مثل لعبة بين يديها.

_ تغيرت في ماذا أخبريني؟

_ أصبحت تهتم بمظهرها، كل يوم بفستان جديد وترافق سحر ما بين المطاعم والأسواق، حتى لون شعرها قد تغير لونه أيضاً هذا غير سفرها كل ستة أشهر إلى دولة مختلفة حول العالم.

_ لقد تغيرت الحياة يا منار عن الحياة التي نعرفها وما تفعله نور كل الناس تفعله أيضاً.

_ ولماذا لا يكون هذا دليلاً على سعادتها مع زوجها وخصوصاً بأنها تجد لديه المال والجاه الذي تريد.

_ أنا أشعر بأنها بالفعل تغيرت...

عندما التقيت بها آخر مرة رأيتها فيها كانت تحاول بأن تقنعني بأشياء غريبة لم أقتنع بها في حينها عند سماعي لها.

_ مثل ماذا يا وليد؟

_ تقول بأنّ الحياة تغيرت وأنت مازلت تفكر في الماضي.

_ هذا يعني بأنها تفكر في حياتها بعيداً عنك، يكفي هذا أرجوك بأن تفكر في نفسك وتنساها أرجوك يا وليد.

_ منار.. لقد فكرت كثيراً في كل ما تقولين مع نفسي، لكن أعود وأجدني أفكر بها مرة أخرى، لا أستطيع نسيانها ماذا أفعل مع عقلي وقلبي؟ لا أستطيع.. لا أستطيع!

_ وليد... أنت وضعت نفسك بداخل دوامة من الوهم، ولا تريد الخروج منها وتصورت مع نفسك بأنّ لا وجود لك بغير هذه المرأة، حاول أن تخرج من هذا الوهم الذي وضعت نفسك فيه وسترى بأنّ الحياة جميلة من حولك وبها الكثير من النساء الجميلات.

_ لا.. لا، كلامك هذا لا يقنعني أبداً، فأنا لا أبحث عن الجمال كما تظنين.

_ إذا لم تكن تبحث عن الجمال في المرأة عن ماذا تبحث إذاً؟

_ أنا أبحث عما بداخل المرأة وليس شكلها وجمال جسدها، أنا أحببت في نور روحها وتفاصيلها من الداخل وكأنّني أعيش بين شراييننها، عشت معها أجمل أيام حياتي وذكرياتي وكبرنا معاً، لكنّ الحظ كان سيئاً معي، وكأنّه اختطفها مني لكي أعيش في عذاب بقية حياتي.

_ وليد.. لقد تعبت من هذا النقاش الطويل معك، وأعتقد بأنّ لا فائدة من حديث لا نهاية له.

أرى بأنك مقتنع بأفكارك التي ترى حياتك من خلالها ولا تريد الاستماع لي أبداً، يجب أن أذهب إلى المطبخ الآن لإعداد بعض الطعام، لقد حان موعد عودة عادل من عمله بعد ساعة وسوف يغضب مني إذا لم يجد طعام الغداء جاهزاً أمامه.

أخذ وليد يتأمل منار وهي تتحدث إليه ليسألها..

_ منار هل أنتِ سعيدة في حياتك مع عادل؟

ابتسمت وهي تقول:

_ لو لم أكن سعيدة معه لم تستمر حياتنا معاً حتى اليوم.

برغم أننا حرمنا من الأطفال، لكن سعادتنا تجعلنا نتجاهل أشياء من أجل راحتنا مع بعضنا، المهم ابقَ معنا لتتناول طعام الغداء معي ومع عادل سوف يكون سعيداً بك عندما يراك.

نهض وليد من مكانه وهو يقول لها:

- لا.. سأذهب الآن وسألتقي به في يوم آخر.

انطلق وليد بسيارته وهو يلوم نفسه، ماذا فعلت لقد تحدثت مع منار عن أشياء يفترض بأنها لا تعرفها عني وعن نور ولم ينفعني نقاشي معها بأي شيء، إنني لم أجد لديها حلول.

وأخذ يفكر مرة أخرى، لكن بعد حديثي معها شعرت ببعض الارتياح، لقد تخلصت من بعض الهموم التي بداخل قلبي وكنت بحاجة إلى أي شخص أتحدث إليه، إن وحدتي مع نفسي وهذا الصمت سيقتلني لم أفعل في حياتي

أي ذنوب أستحق عليها كل هذا العذاب الذي أراه يلازمني طيلة مراحل عمري.

لكنّ الحديث الذي سمعه من منار حول حياة نور مع زوجها والتغيرات التي طرأت على حياتها جعلته يشعر باليأس الشديد، بأنها تعيش مرحلة أخرى مع حياة مليئة بالبذخ في المال والسفر حول العالم، وبأنّها سعيدة بهذه الحياة ولن تفكر به أبداً.

ولن تنظر إلى رجل لا يمتلك من هذه الحياة غير قوته اليومي، ولكن الحقيقة التي لا يعرفها وليد بأنّ هذه الحياة السعيدة التي تعيشها نور كما يراها الناس، خلفها معاناة أخرى تعيشها نور من خلال عائلة زوجها يوسف، فهم ينظرون إليها بأنها مجرد امرأة فقيرة دخلت حياة الثراء من خلال ابنهم يوسف، وحصلت على فرصتها الوظيفية بصفته مديرا للبنك، وبأنّها تستغله من أجل تحقيق أحلامها التي تريد بواسطة منه، الأهم من ذلك هناك في العائلة من تفوقها في الجمال والثراء فكيف يفكر ويتزوج بها!

وهو من كان يرفض فكرة الزواج سابقاً، والكل ينظر إليه ويترقب من تكون سعيدة الحظ التي سوف يقرر يوسف الزواج منها.

فهو الشاب الوسيم وصاحب المكانة الاجتماعية والمالية ومن عائلة ثرية جداً.

ولكن الصدمة الكبرى عندما علم الجميع بأنّه قرّر الزواج من امرأة مطلقة ولديها طفلة من زوجها السابق ومن طبقة لا ترتقي لتلك الطبقة الثرية التي ينتمي إليها يوسف.

هناك أكثر من فتاة حوله تنتظر أي وقت بسماع طلاقه من نور لكي تكون هي سعيدة الحظ وتحظى بشرف الزواج منه،

والمشكلة الأخرى التي تعاني منها نور هي الكره الشديد الذي يحمله يوسف في قلبه لعائلة زوجها السابق سعيد.

وهي تحاول بأن تزيل تلك الأوهام والشك من تفكيره وتقول له بأن سعيد قد مات منذ سنوات، فكيف تغار من رجل مات

بالنسبة لعائلة سعيد؟ يجب أن تستمر علاقتي معهم من أجل ابنتي ريم هم أهل أبيها، وهذا شيء طبيعي بأن تتواصل بهم

لكنه يفاجئها بقوله:

- وماذا عن وليد؟

فتقول: إنه عم ابنتي ريم فقط، ويجب أن يراها بين وقت وآخر، فهي ابنة أخيه ويعطف عليها من بعد رحيله عن هذه الحياة.

ينظر إليها يوسف نظرة كلها تكذيب لكل ما تقول:

- لكن الذي أعرفه غير ذلك؟

المعلومات تقول بأنّ هناك قصة حبّ منذ زمنٍ بعيدٍ بينكما قبل زواجك من أخيه سعيد.

تنظر إليه في صمت وهي في حالة ذهول من الكلام الذي تسمعه منه، كيف عرف بهذا الأمر وهو الغريب عنها وليس من عائلتها ومن أين نقلت إليه تلك الأخبار التي لا يعرفها أقرب الناس إليها.

لكنّها تداركت الأمر كله وقالت:

_ لقد كنا جيراناً منذ زمن بعيد نعرف بعضنا مثل علاقة بقية الجيران، لكنّها كانت علاقة أطفال يلهون ويلعبون مع بعضهم.

يبتسم يوسف وهو يقول لها:

_ هل هذا كل الأمر فقط؟

تنظر إليه وهي غاضبة من طريقة كلامه معها:

_ نعم هذا كل الأمر.

ماذا تظن أنت؟ وماذا يدور برأسك؟

- يتمتم وهو يقول: لا.. لا لا لا. أنا لا يدور برأسي أي شيء لا سمح الله.. لكنني أريد معرفة الحقيقة منك.

يزداد غضب نور لكنّها تحاول أن تظهر أمامه بأنها متماسكة جداً وكأنّ كلامه لا يعنيها.

_ اطمئن يا يوسف، ليس هناك حقيقة أخرى غير التي ذكرتها لك.

يوسف يسخر مما تقول:

_ نعم.. لكن هناك حقيقة أخرى.

_ قل ما عندك يا يوسف، لكنّني لن أسمح لك بأن تتهمني بأشياء من نسج خيالك أنت.

_ اطمئني ما سأقوله يعرفه الآخرون أكثر مني ومنك.

_ أسمعني ما عندك؟

_ الحقيقة تقول بأنّ وليد تزوج بأكثر من امرأة وقرر الانفصال عنهن بسبب عشق امرأة ما زالت تسكن قلبه.

_ وما علاقتي أنا بذلك؟

_ لأنك أنتِ تلك المرأة التي مازال يعشقها.

_ من قال لك هذا الكلام السخيف؟

_ كل الناس من حولنا تقول وتعلم بذلك.

_ وماذا يقولون أيضاً؟

_ يقولون بأنه سوف يتخلى عن أعماله وكل شيء من أجل عشقه المجنون (يقولها ضاحكاً).

_ ولماذا لا تكون مؤامرة من أناس آخرين يحاولون بهذه الشائعات المغرضة بأن يفرقوا بيني وبينك؟

_ لا أعتقد يا نور بأنّ هناك أعداء يهمهم بأن يفرقوا بيننا.

_ لا.. هناك الكثير يا يوسف وأنت تعرفهم؟

_ مثل من؟ أنتِ تحاولين الابتعاد عن موضوعنا الأصلي واختراع أي موضوع آخر.

_ اسمع يا يوسف أنا لا أخترع مواضيع، لكن هناك أشياء تضايقني منذ زواجي منك وأنا أحاول الصبر والتجاهل مني بأنك الآن فتحت باباً للنقاش حولي من حقي أيضاً فتح باب آخر للنقاش حولك.

أخذ يوسف يقهقه بصوت مرتفع وهو يقول:

_ وهل هذا الأمر مجرد انتقام مني من أجل أن اكتشفت في حياتك أشياء لم أكن أعرفها عنك ولم تصارحيني بها قبل ذلك؟

_ لن أرد بأي شيء حول كلامك هذا.

سوف أستمر في حديثي حول ما يضايقني في حياتي معك، لقد تزوجتك يا يوسف وأنا أعرف من أنت، وأنت تعرف من أنا.. وأنت مقتنع بي وأنا مقتنعة بك هل تستطيع إنكار ذلك؟

_ يجاوبها يوسف: نعم هذا كله صحيح.

تكمل نور حديثها وهي تقول:

_ لكن هناك من عائلتك من يقول بأنني فقيرة لا نعرف من أين أتى بها، وعادية الجمال كيف يوسف رضي بهذا النسب غير المتكافئ مع مركزه ومكانته الاجتماعية، كيف يقبل بالزواج بواحدة مثل نور؟

بدأ يوسف يهتم لحديث نور أكثر بعد سماعه هذا الكلام..

_ من قال لك هذا الكلام؟

_ مرة أسمعه من أمك ومرة من أختك ومرات عديدة وفي كل مناسبة أكون فيها من ابنة عمك أو ابنة خالتك وهناك بنات أخريات لا أعرف ما

صفة القرابة بينهم وبينك، وهناك من تقول أين أجد رجلاً بصفات يوسف لأقبل الزواج منه.

- أخذ يضحك يوسف وهو يقول: أكملي.. أكملي.

نور وهي غاضبة جداً:

_ طبعاً هذا الكلام يسعدك؟

فأنت سعيد بأن تسمع كل البنات والنساء من حولك هناك من تتغزل بك وهناك من تتمنى طلاقي منك؛ لتكون مكاني في حياتك هل تتصور ذلك؟

_ وما ذنبي أنا في ذلك؟

_ وما ذنبي أنا أيضاً إذا كان وليد يحبني ويقول بأنه يتمنى الزواج مني هل ستحاسبني على ذلك؟

يقول يوسف وهو يبتسم:

_ لم أكن أعلم بأننا أصبحنا مطمعاً للكثير من حولنا؟

تقول نور وهي غاضبة:

_ لقد غضبت من وليد بأنه يتمنى الزواج مني.. فكيف أنا لا أغضب من العشرات من حولك، وهن يتمنين خروجي من حياتك للأبد.

هكذا هي الحياة أصبحت بين يوسف ونور مليئة بالشك والمشاكل المستمرة كل يوم، بدأ يساور الشك نور بأن حياتها الزوجية مع يوسف لن تستمر أكثر من ذلك، وهي ترى عائلته من حولها غير مرحبة بزواجه منها.

من ناحية أخرى يوسف بدأ يفكر في وليد وعشقه المجنون لها، وهذا الأمر قد يجعل يوسف يفعل شيئاً مع وليد أو معها أو تخسر حياتها معه بالطلاق منه.

فقالت في نفسها:

سوف ألتقي مع أخته منار وأخبرها بما يفعله وليد معي، لعلّها تستطيع أن تفعل شيئاً ينهي هذه المشكلة التي تؤرقني كل يوم.

حددت موعداً مع منار لتلتقي بها وتحدثها حول هذا الأمر.

- تقول منار: لقد تحدثت مع وليد عدة مرات وجدت بأن لديه قناعة خاصة به صعب بأن أغيرها بسهولة وكأنه لا يرى من النساء امرأة غيرك في هذا الكون.

أنا لا أعرف سر هذا الحب الذي أراه نوعاً نادراً من الحب الذي يجعل رجلاً يتعلق بامرأة بكل هذه القوة التي لم أرَها في هذا الزمن الذي نعيشه الآن.

تصمت منار قليلاً، ثمّ تقول:

_ نور هل تحبين وليد بمقدار هذا الحبّ الذي يعذبه ويؤرق حياته؟

صمتت نور وهي تفكر في الإجابة...

_ أنا لا أنكر بأنني كنت أنجذب للعب معه ونحن في مرحلة الطفولة، ثمّ أحسست بعدها بسنوات بأنني أحبه بالفعل وحصل ما حصل وأصبحت من نصيب سعيد.

بداية زواجي من سعيد كنت حزينة جداً وأتمنى لو كنت زوجة لوليد، ولكن شاءت الظروف ورغبة أولياء أمورنا بأن نكون متباعدين دون علم منهم بنوع العلاقة بيننا، طلب مني وليد قبل الزواج بأن أعترض بأي طريقة كانت لكنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً أمام رغبة أبي وموافقته على ذلك.

وأنتِ تعلمين يا منار بأنّ الفتاة ليس أمامها غير الصمت والموافقة على رغبة عائلتها، ولكن بعد ولادة ابنتي ريم تغيرت مشاعري نحو سعيد، وبدأت أشعر بأنه والد ابنتي ورضيت بحياتي معه برغم إهماله لي كل يوم، لكنّني أقول في نفسي سوف يتغير مع الأيام.

لكن سعيد لم يتغير أبداً، حتى تم الطلاق بيننا وبعدها سمعت بخبر وفاته في حادثة السيارة.

_ اسمحي لي يا نور على هذا السؤال.. أنا لا أقصد ما كان بالماضي أنا أسألك عن مشاعرك نحو وليد الآن؟

_ يا منار.. أنا امرأة متزوجة الآن من الأستاذ يوسف ولدي ابنة أفكر في مستقبلها، ووليد اليوم علاقتي به مجرد عم ابنتي ريم.

_ اسمحي لي يا نور أيضاً بهذا السؤال.. هل تحبين زوجك يوسف وسعيدة بزواجك منه؟

_ أنا لا أدعي حبي له، لكنّني سعيدة بحياتي معه.

بعد أن ترتشف القليل من كوب القهوة تقول منار:

_ ما هو المطلوب مني أن أفعله من ناحية وليد؟

_ أريده أن يفهم بأن الحياة تتغير وليس كل ما نريده ونحبه يمكننا الحصول عليه، كل إنسان كتب الله له نصيبه من هذه الحياة، ليس بأيدينا أن نغير المكتوب لنا.

تقول منار وهي في حالة يأس:

_ لقد تحدثت معه لكن لا فائدة معه بالكلام.. إنه عنيد جداً.

بعد نهاية اللقاء بين نور ومنار.. في طريق العودة أخذت تفكر نور مع نفسها وهي تقول:

لقد كان حب وليد لي حباً صادقاً ولم يكذب معي يوماً في مشاعره، والدليل بأنه مازال يحبني ومتمسك بحبه لي، هل أنا لم أكن أحبه بنفس مقدار حبه لي أم أن مشاعري قد تبدلت وأصبحت أنظر للحياة بمنظور مختلف كما أرادتها لي أختي سحر؟

قد تكون حياة الفقر.. وعالمي المحدود الذي عشته في الماضي جعلني لا أرى أمامي غير وليد واتخذه نموذجا للحب الذي كنت أظن بأنه حبي الوحيد الصادق والنابع من قلبي، لكنّني الآن أشعر بأنني تائهة في مشاعري لا أعلم حقيقة حبي له، هل كان حبا أم مجرد وهم عشته وأفقت من غفوته مع الأيام؟

لقد حرتُ مع نفسي ومشاعري التي لم تعد ترى وليد كما كنت أعرفه بفقره وبساطته لأنني اليوم أصبحت من طبقة أخرى تختلف عنه وعن

حياته التي أشعر بأنني غريبة عنها، ولم أستطع بأن أعيش حياتي مع الطبقة الثرية براحة تامة مع يوسف وعائلته التي لن تتركني أعيش في سعادة وسلام حتى يرون بأن حياتي تنتهي معه.

أثناء سيرها أخذتها أقدامها إلى الشارع الذي تقطن به سحر في الفيلا الأنيقة التي تحيط بها الأشجار من كلّ جانب، وبدون وعي منها تضع يدها على جرس الباب، وإذا بها تجد سحر أمامها وهي تقول لها:

- ما هذه الزيارة غير المتوقعة منك يا نور، في العادة مواعيدك هي من تسبق كل زيارة.

تنظر نور إلى سحر وكأنّها في حالة ذهول قائلة:

_ لا أعرف.. لماذا أتيت إليك؟

ينتاب سحر بعض القلق والخوف

_ ماذا بك يا نور ماذا حدث؟

ارتمت نور فوق المقعد وهي تتنهد من أعماقها..

_ لا شيء يا سحر.. لا شيء.

_ لكنّني أراك متعبة جداً؟

_ فعلاً أنا متعبة من نفسي وكلّ شيء من حولي أصبح يتعبني، ثم أخذت تنهار بالبكاء الشديد.

تقف سحر وهي حائرة في أمر نور..

_ ماذا حصل؟ هل ريم أصابها مكروه؟

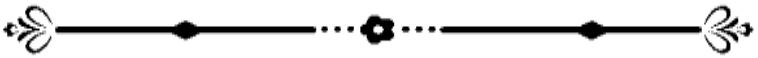

_ لا.. إنها بخير.

_ وهل يوسف أيضاً بخير؟

_ نعم.. بخير.

_ إذاً ما هذه الدموع والحزن الشديد؟

_ لقد تعبت يا سحر من حياتي ومن نفسي ومن كل شيء.

_ اهدئي يا نور وأفهميني ما هي مشكلتك، لقد تعبت أعصابي منك، وأنا أراك بهذه الحالة السيئة؟

بعد أن هدأت نور بدأت تحكي معاناتها من حياتها مع يوسف وغيرته التي بدأت تتحول إلى الشك، يتخيل وجود علاقة حب سرية بينها وبين وليد، ومعاناتها مع عائلته وعدم رغبتهم في وجودها في حياته، هناك من يتمنى طلاقها للخلاص منها للأبد.

غير معاناتها الأخرى مع وليد وعشقه لها الذي لا ينتهي مع السنين حتى بدأ هذا الأمر يظهر للناس علانية، والكل أصبح يتحدث عن حكاية عشق وليد ونور، لقد أصبحت تعيش بين مفترق طرق وهي لا تعلم أي طريق تسلكه وتستمر فيه،

هناك ماضٍ يعذبها لن ينتهي؛ لأنّ وليد ما زال ينظر إليها بأنها من كانت حبيبته ومن حقه العيش معها كزوجة له.

ويوسف الذي عاشت معه من أجل ماله ومركزه الوظيفي لتحقيق بعض من أهدافها فقط، لكن العيش صعب مع عائلته ولن تضمن الاستمرار في حياتها معه.

وأمومتها وشعورها بأن ابنتها ريم في حاجة لها ولرعايتها وهي تعيش بعيدة عنها.

تتابع سحر حديث نور حتى ينتهي وترد عليها بعنجهيتها المعروفة عنها..

_ أعتقد بأنك يا نور ما زلتِ رهينة بداخل الماضي والحنين للفقر الذي كنتِ تعيشين به.

فأنتِ لا تختلفين عن وليد بجميع أفكاره المريضة التي يرى بأن الحياة هي الحب فقط، لأنه يعيش في وهم وخيال وضع نفسه فيه.

وأنتِ أيضاً كذلك، لكن وليد كان أشجع منك وأصدق منك في مواجهة نفسه والآخرين واعترف أمام الجميع بأنه ما زال يحب نور وما زال مستمراً على هذا الموقف رغم زواجك من أخيه سعيد قبل موته، وبرغم زواجك الآن من يوسف،

لكن بالنسبة لك فأنتِ تكذبين على نفسك وعلى من حولك وتوهمين الجميع بأنّ وليد كان حباً في الماضي وقد نسيته،

وأنتِ تكتمين حبك لوليد، وتحاولين إظهار العيب في أخلاق يوسف الذي فتح لك باب المجد والثراء، وجعل منك امرأة لها قيمة في المجتمع.

تصرخ نور بصوتها وهي باكية وكأنها تنكر ما تقوله سحر وتتهمها به..

_ لا.. يا سحر أنتِ تتحدثين معي من المنظور الخاص بك، لكنك لا ترين الحقيقة بصورتها الكاملة.

أخذت سحر سيجارة لتشعلها، فهي بدأت تمارس التدخين ليس برغبة منها، لكنّها تتخذه كنوع من البهرجة والوجاهة أمام الآخرين لتظهر بأنها مثل سيدات المجتمع الراقيات، وبأنّها لا تقل عن أي واحدة منهن في الملابس والمظهر حتى في عادة التدخين.

وبعد أن أشعلت سيجارتها ونفثت دخانها المتطاير في أجواء المكان حولهما قالت:

_ ما هي الحقيقة يا نور؟

هل تريدين أن تخسري يوسف وتعودي للفقر من جديد؟

_ لا.. يا سحر أنتِ تتحدثين معي وكأنني امرأة خائنة وأفكر بحب وليد..

تقاطعها سحر فتقول:

_ قد أكون مخطئة في تقديري للأمر الذي تعانين منه، أريد أن أسمع منك الصحيح؟

_ صدقيني يا منار.. يوسف ليس ملكاً لي ولا يعترف بي كزوجة له..

إنه ملك لجميع النساء اللاتي من حوله وكل واحدة تسمعه كلمات الحب والغرام وهو سعيد بذلك

أين كرامتي مثل أي زوجة لها وجودها واحترامها؟

هذا ما أشاهده أمامي كيف عما يفعله في الخفاء عني مع هؤلاء الساقطات؟

يوسف يرى بأنني مثل أي تحفة أعجب بها وأراد بأن يمتلكها بماله، ثمّ حصل عليها، لكنّ بريق التحف الأخرى يجعله يفكر في امتلاك المزيد.

_ ما هذه الفلسفة التي أسمعها منك يا نور!

إنه شيء طبيعي بين الطبقات الثرية من الناس.. ويوسف لديه الوسامة والمركز المرموق والثروة الطائلة، الطبيعي بأن يكون حوله عدد من النساء المعجبات به.

هناك من تتودد إليه وهناك من تتمنى شرف معرفته فقط، وهناك من تراه بأنه فتى أحلامها.

تنظر نور إلى سحر باشمئزاز واستنكار..

_ ما هذا الذي تقولينه يا سحر لقد تغيرتِ كثيراً بعد عودتك من أوروبا عن الماضي الذي عشناه،

ما هذه الأفكار الغريبة التي أسمعها منك؟

نحن بشر تحكمنا الفضيلة والأخلاق، والدين هو من يهذب نفوسنا.. في هذه الحالة الفقر أرحم من الذي سمعته منك!

تعود سحر وتنفث بعضاً من دخان سيجارتها وتقول:

_ كلّ المجتمعات المتقدمة مثل أمريكا وأوروبا ينظرون لهذه الأشياء ببساطة شديدة منهم ولا يجعلون من هذه الأمور بأن تسبب أزمات بينهم..

حاولي يا نور أن تعتادي على هذه المجتمعات الراقية ذات العقول المتفتحة ولا تعودي وتفكري في الماضي والجهل والفقر الذي كنا نعيشه.

نور وهي تعترض على كلامها:

_ لن أناقشك كثيرا حول هذا الكلام الذي تقولينه، لأنّ هذه قناعاتك التي أتيت بها معك بعد سنوات من العيش في أوروبا، أنا أريد أن أجد حلاً لمشكلتي التي أعاني منها الآن في كل ساعة وكل يوم؟

تقول سحر:

_ يبدو بأنّني أخطأت حين اقترحت عليك بأن تعملي مع يوسف في البنك وأن تتزوجي به بعد ذلك، وكان هدفي هي خدمتك وتعيشين حياة سعيدة معه.

نور تحاول أن توضح لسحر وجهة نظرها أكثر..

_ أنا لا أشك في حبك لي يا سحر، فأنتِ أختي وأعرف بأنك تتمنين كل الخير والسعادة لي، لكن قد تكونين أخطأتِ في تقديرك واختيارك لشخص يوسف، وأخذك بريقه الوظيفي ونسيتِ بأنه أولا وأخيرا إنسان له حسناته وعيوبه.

_ لا تكذبي على نفسك يا نور..

لقد تغيرت حياتك معه للأفضل وأكملتِ مسيرتك في التعليم وأصبحتِ امرأة تعمل ولها راتبها الشهري، ومتزوجة من رجل حلم للنساء من حولك،

وكأنك من خلال هذا المجتمع الذي وضعتك أنا فيه تعيشين بالجنة، وهناك الكثير من يحسدك على معيشتك الآن.

_ لا.. يا سحر أنتِ مخطئة في كلامك هذا.

بل قذفتِ بي في جهنم من غير قصد منك وتظنين بأنك تفعلين الصح معي وتجلبين السعادة لي، أنا الآن أشعر بأنني أحترق بداخل النار.. إنني أحترق ولا أعرف كيف الخروج من هذه المحنة التي وقعت بها؟

_ كوني صادقة يا نور مع نفسك..

أنتِ تعيشين في النعيم وسعيدة في حياتك لكن روحك وقلبك ما تزال تعيش مع وليد، خداعك لنفسك ومع الآخرين من حولك هو ما يجعلك في قلق وألم ونار جحيم.

تقول نور والدموع تملأ عينيها:

_ بكل صراحة وصدق.. لم أعد أعرف نفسي إنني حائرة جداً يا سحر..

قد أكون أحب وليد مثل ما تقولين أو مجرد عطف على حالته التي أراها تتدهور يوماً بعد يوم بسببي، أم هو حنين للماضي يجعلني أرفض حياتي التي أعيشها الآن..

لقد تعبت من نفسي ومن كل شيء.

سحر وكأنها تتساءل تقول:

_ الغريب في الأمر يا نور.. بأنّ وليد طلب منك الزواج بعد موت أخيه سعيد وأنتِ من رفض فكرة الزواج هذه، لقد كانت فرصة أتت إليك ولكن أنتِ من قال لا في حينها، لماذا الآن أشعر بأنك أصبحتِ تفكرين به مرة أخرى وتعودين لحبه من جديد، بعد رفضك الزواج منه منذ سنين؟

تقول نور وهي سارحة بخيالها:

_ قد أكون أخطأت في تقديري لبعض الأمور في حينها، وقد أكون على صواب حقيقة لا أعرف الذي أعرفه بأنني عانيت منذ زواجي من سعيد، قد كان يهملني ويتركني حبيسة غرفتي بين الجدران.

لا يحس بي ولا يشعر بي كزوجة له، حتى ريم وهي ابنته أرى بأنه لا يشعر بأي عاطفة نحوها كل همه نفسه وحياته بين السهر والأصدقاء.

_ وما علاقة رفضك لوليد بذلك؟

_ صحيح بأنني حينها كنت بداخلي ما زلت أحب وليد كإنسان، لكنّني داخل نفسي أصبحت أرفض فكرة الزواج منه كشريك لي في الحياة، لأنه أخٌ لسعيد، وكلاهما يعيشان الظروف المعيشية نفسها تحت سقف واحد، وخشيت أن أكرر المأساة نفسها التي رأيتها في حياتي مع سعيد، وقد يكون أخذ الطباع نفسها التي كرهتها في حياتي السابقة، وصعب بأن أعيشها مرة أخرى.

تكمل سحر لنور بقية الحديث وتقول:

_ وبعد ذلك أنا من أقنعتك بزواجك من يوسف.. الآن أيضاً ترفضين الاستمرار في حياتك الزوجية معه.

_ لا.. يا سحر أنا لم أقُل ذلك.. ولم أفكر في ذلك، لكن حياة يوسف مختلفة عني تماماً مليئة بالنساء من حوله، حياة صاخبة كلها مجاملات ومظاهر كاذبة وعالم لن أستطيع التأقلم معه مهما حاولت.

_ لماذا... وهل هؤلاء أفضل منك؟

إنهم أناس مثلك، ولكن بريق الثراء الذي يعيشون فيه جعلك تنظرين لنفسك بأنك أقل منهم يا نور.

_ أنا بالفعل أقل منهم بكثير..

وهذا ليس رأيي عن نفسي، ولكن عائلته يرون ذلك، بأنني من طبقة فقيرة أقل منهم ولا أرتقي إلى مستوياتهم التي يرونها هي الأفضل عن الآخرين.

_ هذا وهم ترينه بداخل نفسك يا نور.. وهذا ما جعلك تظنين بأنهم ينظرون إليك هكذا؟

أخذت نور تؤكد كلامها..

_ هذا ليس وهماً يا سحر، أنا أرى وأعرف ما يدور حولي من همز ولمز واحتقار أيضاً، خصوصاً من النساء.

_ سأقول لك شيئاً يا نور.. أنا أعيش منذ سنوات مع زوجي الدكتور أحمد، وهو دكتور ناجح له العالم الذين يحيطون به من الطبقة نفسها التي تتحدثين عنها، لكنّني كنت سريعة الاندماج معهم، وحاولت بأن أكون امرأة عصرية في مظهري وثقافتي وتفكيري حتى يكون هناك تناسب في الطباع بيني وبينهم حتى علاقتي مع عائلته رائعة جداً.

تقول نور بثقة من كلامها..

_ قد يكون السبب هو الدكتور أحمد؟

هو من جعل لك الهيبة والاحترام أمام عائلته والناس الذين حوله من خلال حديثه الرائع عنك ولا يقبل بأي كلمة تمس كرامتك وتقلل من شأنك أمام أي أحد منهم؟

_ هل معنى ذلك يا نور بأنّ يوسف لا يحبك ولا يهتم بك أمام عائلته؟

_ لا أستطيع بأن أحدد مقدار حبه لي، فهو شخصية غامضة صعب فهمها بسهولة، ولا يفرق بين جلوسه في مكتبه كمدير للبنك وبين جلوسه أمام زوجته.

أما بالنسبة لعائلته فهو يرى ويسمع ما يقولون، لكنّه يكتفي ببعض الابتسامة منه دون أي تعليق.

تتنهد سحر وهي تقول:

_ وبعد هذا الحديث الطويل الذي دار بيني وبينك.. ما هو القرار الذي سوف تتخذينه؟

نور وهي في حيرة في أمرها..

_ لا أعرف لكنّني سوف أفكر ماذا سأفعل بعد ذلك..

تعود نور إلى بيتها وهي في حيرة مع نفسها، ولكن عند عودة يوسف إلى البيت كانت قد أخذت قرارها.

تحدثت نور إلى يوسف وهي تطلب منه بأن تذهب إلى بيت أمها للبقاء فيه عدة أيام؛ لترتاح فيه أعصابها لأنها تشعر بتوتر شديد هذه الأيام عند بقائها في البيت، وأيضاً تكون بجانب ابنتها ريم التي تعيش بعيدة عنها منذ زواجها منه.

لكنّ الدهشة كانت حين وافقها يوسف على ذلك بدون اعتراض منه ولا تفكير.

أخذ الشك يدور برأسها هل يمكن بأنه فكر في الخلاص مني وإبعادي عن حياته، وبطلبي هذا سهلت له ما كان يفكر به؟

وبعد تفكير مع نفسها قالت:

لم يعد يهمني ماذا يدور بداخل عقله، فهو إن أراد أي شيء سوف يفعله دون إذنٍ مني.

ثمّ ذهبت إلى غرفة نومها، وجمعت بداخل الحقيبة ما تحتاجه من ملابس وأشياء أخرى تحتاجها، ثمّ ذهبت لبيت أمها، لم تستجب نور لبعض أسئلة الأم عندما أرادت أن تعرف عن سبب بقائها هنا، بعيدة عن بيت زوجها، لكنّها اكتفت بكلمة واحدة وهي تبتسم وتحتضن ابنتها ريم بين ذراعيها وتضمها لصدرها.

لقد جئت هنا من أجل ريم لأبقى معها، عندما سمعت ريم هذه الكلمات أخذت تهتف بصوتها وتقول:

_ أتمنى بأن تبقي معي دائماً يا أمي، فأنا في حاجة إليك بجانبي.

أخذت نور تمسح بيدها فوق شعر ريم وهي تقول:

_ سأبقى معك يا حبيبتي.

بعد أن مضت عدة أيام تحاول أم نور أن تسألها مرة أخرى عن أسباب بقائها هنا؟

لكن نور لم تبدِ أية إجابة واضحة حول الأسباب، فقط تقول بأنّها في حاجة أن تكون بجانب ريم في هذه الأيام.

بدأت تفكر نور مع نفسها في تلك الفترة التي أمضتها بعيداً عن يوسف، لماذا عاد حب وليد إلى قلبها بعد هذه السنين، ولماذا تشعر بحنين غير طبيعي يجذبها إليه وإلى عهد طفولتها معه؟

قد يكون سبب ذلك ابنتها ريم التي ترى بأنها لو كانت زوجة لوليد سيكون أباً آخر تجد لديه الحنان والحب لأنه عمها.

عكس يوسف الذي لا يهتم بوجودها ولم يسأل يوماً عنها ولا يعرف أخبارها.

وقد يكون الماضي الجميل بذكرياته وبراءة طفولتهما وهما يمضيان الساعات الطويلة ما بين اللهو واللعب، وإصرار وليد هذه السنين التي مضت بأن تستمر العلاقة كما هي وبأنه يراها حبيبته، وما زالت في عينيه ببراءتها وطفولتها لم تتغير مهما كبرت مع السنين..

أشياء بدأت تفكر بها نور عدة أيام ولا تكاد تنام الليل من كثرة التفكير الذي يرهقها حتى أتت أختها سحر ذات يوم في زيارة لها وهي تقول:

_ ما هذا الذي تفعلينه يا نور؟ إنه نوع من الجنون كيف تبتعدين عن يوسف كل هذه الفترة الطويلة ولا تفكرين بالعودة إليه!

لكنّ نور تفضل الصمت ولم تجب على ما تسمعه من سحر، بعد ثوانٍ من الصمت تصرخ سحر بصوتها:

_ نور.. ما هذا؟

أنا أتحدث معك ألا تسمعين؟

_ إنني أسمعك يا سحر.

لكن هذا الموضوع تحدثنا حوله كثيراً وأنا الآن أحتاج الوقت الكافي لمراجعة حساباتي مع نفسي، لكي أعرف ما هو القرار الذي أتخذه بعد ذلك.

_ أي قرار تتحدثين عنه؟

يوسف لن يحتمل هذا الجنون أكثر من ذلك، وقد يتخلى عنك في أي وقت.

_ منذ متى كان يوسف بجانبي أو يهتم بي حتى يفتقدني في بيته؟ إنه مشغول الآن بمن حوله أو يمكن تزوج بواحدة منهن دون علم مني..

تمنيت لو أنك رأيتِ الفرحة وهي تبدو على وجهه وهو صامت لم يتكلم، عندما قلت له بأنني سأذهب إلى بيت أمي عدة أيام لأكون بجانب ريم لم يعترض ولم يسألني لماذا؟

تجيبها سحر بعصبية منها:

_ لكنّه لو رفض أو اعترض على طلبك سوف أسمعك تقولين بأنه قد منعني عن زيارة بيت أمي وبأن أرى ابنتي ريم.

_ آه يا سحر.. لقد ازداد جنوني مما تقولين، كأنك نصبت نفسك محامية للدفاع عنه؟

_ نور.. أنتِ تضحكين على نفسك في الحالتين لن تكونين راضية عن يوسف الذي له الفضل عليك في كل ما تنعمين به الآن من مال ورفاهية.

أخذ صوت نور يعلو أكثر وهي تقول:

_ من قال لك بأن المال يهمني؟

_ المال هو من يسعدك في العيش ورفاهية وراحة بال.

_ إذا كان المال ترينه هكذا يا سحر، فأنا لا..

المال قد يأتي بالطعام والملابس التي نستر بها أجسادنا، لكن لن يعطينا دفء المشاعر والحبّ الذي نحتاجه

سحر وهي في غيظ شديد..

_ ما هذا الكلام الذي أسمعه منك يا نور..

مشاعر وحبّ.. هل كل ما تقولين من أجل وليد أم ماذا تقصدين بكلامك هذا الذي لا أفهمه؟

نور وكأنّها لا تبالي بما تقوله سحر..

_ لم يعد يهمني من يفهم ومن لا يفهم..

ليس عندي وقت لشرح كل ما يدور في نفسي ليفهمه الآخرون.

تقول سحر وهي تضرب كفاً بكف:

_ لقد اقترب وليد من الجنون وسوف تلحقين به أنتِ عن قريب.

تقول نور باستهزاء منها:

_ أنا جننت بالفعل منذ أن عرفت يوسف وتزوجت منه جعلني أفقد ثقتي بنفسي ويقلل من احترامي أمام الآخرين، ولم أرتَح من شكوكه حولي بين وقت وحين.

تقول سحر ضاحكة:

_ ومن زرع الشك في قلبه غير ملاحقة فارسك المجنون الذي اسمه وليد يتابع أخبارك ويتحدث بحبه لك في كل مكان، أليس من حق يوسف بأن يغضب منه ومنك، ليس هناك كرامة رجل تسمح له بأن يتحمل ما يتحمله يوسف من أجلك ولم يتخذ أي قرار ضدكما.

فتقول نور بسخرية منها:

_ لأنه هو أسوأ مما تقولين عن وليد..

يوسف حوله العشرات من النساء، كلّ يوم يحب واحدة منهنّ لأنّه زير نساء، لكن وليد عندما أراد أن يحب كان صادقاً في حبه ولم يرَ غير حب امرأة واحدة فقط.. هي أنا؟

_ ما يحيرني فيك يا نور.. تحاربين يوسف وتتهجمين عليه بالكلام وهو زوجك وتدافعين عن وليد بكل عصبية منك وهو ليس بزوجك، فهل ترين بأنّ هذا هو الصحيح أمام الناس، أمي التي هي الآن معنا تحت سقف هذا البيت لو علمت بما تقولين أعتقد بأنّها ستموت فوراً من شدة الصدمة التي لن تحتملها منك.

تنظر نور إلى سحر، وكأنّها تريد أن تحسم هذا الأمر بينهما..

_ أنتِ يا سحر لك تفكيرك المختلف تهتمين بمظهرك والمستوى المعيشي والاجتماعي، وهذا قد يكون من أسباب استقرار حياتك وسعادتك لأنك وجدتِ ما كنتِ تحلمين به.

لكنني عكسك تماماً فأنا لا أهتم لكل ذلك..

لأنني أبحث عن الحب والمشاعر والرجل الذي أريده بأن يهتم بي حتى وإن كان فقيراً، ماذا استفدت من ثروة يوسف ومركزه الاجتماعي، مجرد اسم بين الناس وبأنني حرم فلان ابن فلان!

لكن الواقع المؤلم الذي أعيشه يقول غير ذلك.. يقول بأنني امرأة أعاني من الوحدة والحرمان، ولم أجد هذا الرجل الذي اسمه يهز الناس بأنه يفهمني، قد يكون هذا السبب الذي جعلني أعود مرة أخرى وأفكر في وليد الذي

أحبني بكل صدق منه وإخلاص، وأعتقد بأنني لو كنت زوجة له رغم دخله المالي البسيط لجعلني أسعد امرأة في العالم من خلال حبه واهتمامه بي فقط، وهذا يعادل بالنسبة لي الملايين من الدولارات..

لقد عرفت الفقر في الماضي وعشته، والآن عشت الثراء وذهبت إلى معظم دول العالم، واشتريت كل ما تحلم به امرأة من فساتين وعطور وجميع الأشكال والألوان من أحذية ومكياج..

لكنّني بعد هذا كله أحسست بأنها مجرد سعادة زائفة، ساعات أعيشها وكأنني في حلم جميل، لكن عندما أصحو من تلك النشوة التي كنت بها أصطدم بالواقع الذي أعيشه، وأجد بأنني أعيش مع رجل ينام بجانبي وهو يسرح بفكره مع نساء أخريات.

سحر تستمع إلى نور وهي صامتة، ثمّ تقول:

_ بصراحة يا نور.. لم أعد أفهمك أبداً..

لا أعلم عن ماذا تبحثين، وما هو الشيء الذي سوف يرضيك ويسعدك، لا أفهم سبب الشقاء الذي أنتِ فيه.. إذا كان بسبب هذا الذي اسمه وليد، أتمنى من الله بأن يعجل بموته لكي يرتاح قلبك لعلّ عقلك يعود إليك وتقدرين وجود يوسف في حياتك.

نور وهي غاضبة من سحر:

- ما هذا الشر الذي بداخلك؟ تتمنين الموت لوليد وهو الإنسان الطيب الذي لم نرَ منه غير كل الخير! لماذا يا سحر؟

- لأنني أرى بأنه هو سبب الشقاء الذي في حياتك يا نور وهو سبب ابتعادك عن يوسف.

تقول نور وهي تسرح بخيالها:

- لا يا سحر... وليد لا ذنب له في ذلك، هناك اختلاف بينه وبين يوسف، وليد إنسان حالم يعشق الحياة، يريد بأن يحيا بالحب وحده فقط، لكن يوسف لا يفكر غير بنفسه، وكيف يهتف الناس بنجاحه وخصوصاً النساء، لكن من داخل قلبه أرى بأنه رجل بدون مشاعر ولا إحساس.

بعد هذا الحوار تغادر سحر وتأتي الأم وهي تقول:

- اسمعيني جيداً يابْنتي لقد سمعت بعض الحديث الذي وبينك وبين سحر، وأنا أرى بأنك غير راضية في الماضي عن حياتك مع سعيد عن إهماله لك وعدم قدرته على إيجاد السكن المناسب لك ولابنتك، سعيد مات وطوينا صفحته ولا يجوز عليه غير الرحمة والدعاء له.

الآن يوسف لديه القدرة المالية، ولديه السكن المناسب لك، فما هي مشكلتك معه أخبريني يابْنتي أريد أن أرتاح؟

تحاول نور هذه المرة أن تتحدث مع أمها لأنها بدأت تشفق عليها من بعض التعب، ولكن باختصار شديد حتى لا ترهقها بكثرة الكلام...فأخذت تقول:

- ليس هناك مشكلة واضحة بيني وبين يوسف، شخصية غامضة جداً يعيش من أجل نفسه ولا أرى منه أي اهتمام تحتاجه أي امرأة متزوجة من رجل تتمنى بأن تجد منه كل رعاية واهتمام.

- فتقول أم نور: لا يابْنتي هذه ليست مشكلة مجرد اختلافات بينكما في الطباع، لكنّها مع الأيام سوف تتبدل إلى الأحسن،

لقد عشت مع أبيك أسوأ الظروف من فقر وجوع وآخر صبري معه هذه السنين تزوج من امرأة أخرى لأنني لم أحقق أمنيته بعدم استطاعتي أن أنجب له ابناً كان يتمناه، لأنّ ظروفي الصحية لم تسمح بذلك، وعندما أنجبت له زوجته الأولاد أهملني وأهملك وأهمل أختك سحر، وأعتقد بأنك تذكرين بعض ذلك، ولم أعد أراه حتى فارق الحياة.

- خلاصة الكلام يابْنتي ليس هناك رجل كامل الصفات تستطيع أن تحصل عليه المرأة في هذه الحياة، إذا وجدت به جانباً جميلاً، ستجد هناك جانباً آخر قبيحاً لن يعجبها.

وأنا قد صبرت على أبيك في جميع حالاته من أجلك أنتِ ومن أجل سحر، الحمد لله بأنني أديت رسالتي معكما حتى رأيت كل واحدة منكما في بيت مع زوجها.

المطلوب منك الآن بأن تعودي إلى بيت زوجك وسوف ترين بأنّ الأيام تصلح ما بينكما بدون هموم وحزن منك.

أخذت تفكر نور بعد سماع كلام الأم ثم قالت:

_ لكنني سأكون بعيدة عن ريم؟

_ لا يا نور... لا أريدك أن تشغلي بالك بريم، فهي تعيش معي وأنا سعيدة بوجودها، وهي كذلك سعيدة معي.

أخذت نور حقيبة ملابسها وهي تحملها بيدها وفي طريقها للعودة إلى يوسف، وبداخل نفسها غير مطمئنة لحياتها معه

لكنّها أرادت بأن ترضي أمها وتريحها من هموم مشاكلها التي ترى بأنها لن تنتهي.

يوسف كعادته لا فرق عنده غياب نور أو عودتها لأنّه مشغول بحياته العملية وبتواجده بين عائلته.

تحاول نور أن تتجاهل ذلك وكأنّها لم تلاحظ أي شيء.

بعد أيام تتلقى مكالمة من منار وهي تخبرها بأن وليد قد تعرض لوعكة صحية، بعد الفحوصات تبين بأنه يوجد لديه ورم بداخل الرأس وهو الآن يرقد بالمستشفى، وطلب مني بأن أخبرك بزيارته لأنه يريد بأن يراكِ.

نور تعتذر منها بعدم استطاعتها زيارته بالمستشفى لأن يوسف لن يرضى بذلك أبداً.

لم تكن تعلم نور بأن يوسف يراقب جميع المكالمات الواردة إلى هاتفها ويستمع إلى المحادثات التي تدور بينها وبين المتصلين.

فهو يعاني من الشك الذي يلازمه منذ زواجه من نور، خاصة بعد أن عرف نوع العلاقة القديمة التي بينها وبين وليد ومما زاد من عدم ثقته في نور نوع النساء اللواتي من حوله، ويرى بعضاً من الخيانات للأزواج من بعضهن والبعض الآخر يتمنين الطلاق من أزواجهن من أجل فارس جديد اقتحم قلبها، فلم تعد ترى بأنّ بقاءها مع زوجها يفيد.

وهناك من تخون زوجها معه شخصياً، وتتمنى بالزواج منه والتضحية بحياتها الزوجية من أجله، وكل هذا بالطبع من أجل ثروته والبريق الاجتماعي الذي من حوله جعلت منه نجماً لامعاً في المجتمع.

فكل فتاة أصبحت ترى بأنه فارس أحلامها الذي يستحق بأن تتخلى عن فارسها لأجل القرب منه، فهو يوسف ذو الوسامة والبريق الذي لا يقاوم في المجتمع النسائي الذي يحيط به.

أخذ يفكر يوسف مع نفسه وهو يقول:

كنت أظن بأنّ الفساد الأخلاقي موجود فقط بين طبقة الأثرياء من المجتمع، والخيانات التي بينهم بسبب الثراء الذي يزيد من الفساد في النفوس والطمع بينهم، وهذا ما جعلني أتزوج من نور لأنها من طبقة فقيرة لا شيء من الأطماع والفساد لديهم يفكرون في قوت يومهم فهو ما يشغل حياتهم فقط.

وليس لهم علاقة بطبقة الأثرياء الفاسدة، في الأخلاق وفي الأمانة، لكنّني أخطأت في تقديري لبعض الأمور لأنّ المرأة هي المرأة في جميع الأحوال

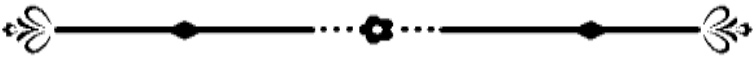

والظروف في المجتمعات المختلفة، من أرادت الخيانة لن يمنعها عن ذلك أي شيء حتى لو كانت فقيرة، يبدو بأنّ الخيانة عند المرأة أحاسيس بداخلها لا علاقة لها بالغنى والفقر، ثم بدأت تتحول ملامح وجهه للعصبية من شدة الغضب وهو يقول:

_ أنا يوسف صاحب الثروة وهذه المكانة الاجتماعية العالية، وحلم لجميع النساء من حولي تضعني نور في مقارنة مع ذلك الصعلوك الذي اسمه وليد، هل فقدت عقلها أم فقدت نظرها!

ولم تعد ترى أمامها غير ذلك الفقير المعدم الذي لا قيمة له، كل النساء من حولي يتمنين الاقتراب مني والحديث معي وهناك من تصارحني بأنها تريد الزواج مني وتسمعني أجمل العبارات، وزوجتي هي الأقرب لي منهن جميعاً لم أسمع منها أي عبارة واحدة من تلك العبارات ولم أشعر بأنها تحبني، مجرد زوج يجلب لها المال لتعيش حياتها التي تراها جميلة مع وليد وأنا لا أساوي شيئاً بالنسبة لها.

ماذا أفعل معها لقد بدأت أفقد صبري وأخشى بأن أفعل جريمة أندم عليها بقية عمري وهي لا تستحق كل ذلك؟

لكن لا.. لن أفعل شيئاً سوف أحاول الصبر لأرى ماذا ستكون نهايتها مع وليد، إذا أتت يوماً تطلب مني الطلاق سأعرف بأنها تفعل ذلك من أجله وسوف تذهب إليه وتتزوج منه.

لكن المهم الآن بأن أغير معاملتي معها ولن أدعها تخرج هكذا لوحدها لتتمكن من زيارته في المستشفى، سأكلف السائق الخاص بي بأن يذهب معها في كل مشاويرها القادمة لأعرف منه أين تذهب ومن أين تأتي.

أخذ يفكر قليلاً ثم قال: نعم هذا هو القرار الصحيح.

بدأت تلاحظ نور بأن يوسف تغير في معاملته معها وأصبح يسألها عن أي مشوار تذهب إليه.

ولم يعد يدعها تذهب لوحدها بل أصبح يلزمها بألا تذهب إلى أي حاجة لها غير برفقة السائق الذي أصبح يلازمها

أخذت تفكر مع نفسها..

لماذا تغير يوسف؟

لماذا يفعل ذلك معي؟

وهو الذي لم يكن يهتم لغيابي ولم يسألني قبل ذلك عن أي مشوار أذهب إليه؟

إنه بدأ يحاصرني بأوامر منه كل يوم من أجل عودتي إلى بيت أمي مرة أخرى..

أعتقد بأن لديه مصيبة يخفيها عني أو تزوج من إحداهن ويريد الخلاص مني؟

لا.. أنا لن أفعل شيئاً، ولن أعترض على أي شيء يفعله لأنني وعدت أمي بأن أعود إليه وأصبر من أجل حياتي أن تستمر.

في هذه اللحظة تسمع رنين جرس هاتفها وتجد بأنّ المتحدث هو منار وهي تقول لها:

الدكتور طارق المتابع لحالة وليد يقول لي بأن وليد يجب أن نعمل له عملية لاستئصال الورم قبل أن يزداد ويكبر.. وهذه العملية تحتاج الكثير من المال وأنا في حاجة لمساعدتك لي يا نور..

لقد جمعت بعض المال ولكن أحتاج منه المزيد من أجل إنقاذ حياة وليد.

صمتت نور.. ثمّ قالت بالنسبة لي لن أستطيع أن أفعل شيئاً، ولكن سأتحدث مع أختي سحر تأخذين منها المال الذي يكفيك.

أنت تعلمين بأن يوسف يراقبني في كل مكان أذهب إليه ومن يزورني أيضاً، ولن أستطيع بأن أفعل أي شيء، تصوري بأنه أحضر لي سائقاً يرافقني في كل مكان حتى يعرف كل شيء عني من خلاله.

منار تتنهد وهي تقول:

_ أعلم عن سوء العلاقة بينكما يا نور، ولكن يجب عليك الصبر، فماذا عساك تفعلين؟

أنا سأتحدث مع سحر وهي ستقوم معي بالواجب، وكأنك أنتِ يا نور من فعلتِه.

كعادته في كل مرة سمع يوسف المكالمة ويقول:

- تطلب منها بأن تنقذ حياة وليد من مالي يا لكن من نساء خائنات، لكن أحسنت يا يوسف لقد نجحت في خطتك معها فلم تستطع بأن تقدم

لها أي خدمة وذلك بسبب خوفها مني، لكن انتظري يا نور ما زلت أراقبك وسترين مني أشياء وأشياء ستجعلك تندمين.

بدأ الحزن والقلق يتسلل إلى قلب نور وهي تقول: ماذا جرى لوليد، ألا يكفيه الحزن والألم الذي بداخله ويصاب بهذا المرض اللعين.. أستغفر الله العظيم إنها حكمتك يا رب، مسكين يا وليد لقد حرمت من السعادة والحياة الجميلة التي تمنيتها، وأنا من كنت السبب في عذابك، لقد أتى يطلب الزواج مني والدموع في عينيه لأنّه يحبني ويعرف ويقدر من هي نور. وتخليت عنه في لحظة جنون مني، تزوجت من يوسف الذي لا يستحق مني أي شيء، إنه لا يقدرني ولا أعني له شيئاً، مجرد زوجة أمام الناس وفي الحقيقة أني أسيرة هنا في بيته، ما بين الشك والظنون التي برأسه وما بين مراقبته المستمرة لي.

يأتي يوسف وهو يرى نور غارقة في الدموع من شدة البكاء، ثمّ يقول:

_ ماذا حصل يا نور.. ما هذا البكاء والدموع؟

تحاول أن تمسح دموعها بيديها وهي تخفيها عنه..

_ لا شيء.. إنني أشعر بالملل والاختناق.

أخذ ينظر إليها ضاحكاً بخبث منه..

_ اعتقدت حصل لديك مكروه.. هل أمك وابنتك بخير؟

_ نعم.. الحمد لله.

ثم يستطرد كلامه ويقول:

_ لأنّ الإنسان عادة يشعر برغبة في البكاء إذا كان هناك أمر يزعجه، مثل رحيل صديق أو مرض إنسان عزيز على قلبه كفانا الله شر المرض.

فكرت نور مع نفسها وهي تقول:

ماذا يعني بهذا الكلام.. هل يعلم بمرض وليد؟

حتى لو علم به، لماذا يسمعني بذلك..

أنا بدأت أخاف من هذا الرجل، إنّ ما يفعله معي هذه الأيام أمراً غير طبيعي.

التفتت إليه وهي تقول:

_ هل تريد بأن أحضر لك طعام الغداء؟

_ لا.. أنا سأخرج حالاً.. لدي بعض الأعمال، سأعود لإكمالها بقية النهار.

عند خروجه من الباب أخذت تتمنى بألّا يعود أبداً، لأنها بدأت تشعر بنوع من الجفاء والكره عندما تراه أمامها..

تمنت لو أنّ المرض الذي أصاب وليد من أصابه هو لتتخلص منه للأبد.

ثمّ التفتت لهاتفها والتقطته بسرعة منها لمحادثة منار لتسأل عن نجاح عملية وليد..

تقول لها منار: لقد تمت العملية والحمد لله، لكنّه ما زال تحت تأثير المخدر، ويقول لي الدكتور طارق بعد ساعة سوف يسترد وعيه، أخذت

تشكر نور على مساعدتها بالمال الذي استلمته عن طريق سحر، لولا مساعدتها لم تتم العملية أبداً.

عندما سمع يوسف هذه المحادثة فقد أعصابه...

وهو يقول اللعنة عليك يا منار، كأنك حمامة السلام بين وليد ونور، كل الأخبار عن وليد لن تعرفها هذه الخائنة إلا عن طريقك من أين ظهرتِ في هذا التوقيت أيتها اللعينة.

بعد أن سمعت نور بنجاح العملية لوليد، أخذت تشعر بالارتياح وهي تردد: الحمد لله.. الحمد لله.

أمضى وليد بعد هذه العملية عدة أيام داخل المستشفى، ثمّ غادرها إلى بيته، ولكن طلب منه الدكتور طارق بأن يتابع حالته بعد كل فترة من خلال البرنامج المتبع لتلك الحالات، حاولت معه أخته منار بأن يقيم معها هذه الفترة في بيتها حتى يستعيد عافيته، لكنه رفض ذلك وهو يقول:

اتركيني أعيش حياتي بطريقتي الخاصة التي تريحني، أريد أن أكون مع نفسي لأرتاح من عناء وتعب المستشفى.

عند عودته لبيته أخذ يفكر مع نفسه في حالته التي بدأت تتدهور مع الأيام، ويتمنى لو كانت نور بجانبه فهو يحتاجها هذه الأيام أثناء فترة مرضه.

فأخذ يقول في نفسه: وكيف ستأتي ويوسف سوف يمنعها عني، وأعتقد بأنني لن أراها مرة أخرى.

تفاجأ نور بأنّ يوسف يطلب منها السفر معه لمدة شهر إلى باريس لمهمة كلف بها خاصة بالعمل، وكانت هذه فرصة وجدها يوسف بأنّها مناسبة له لإبعاد نور عن وليد في هذه الفترة، التي يرى بأنها متعاطفة جداً مع حالة وليد ومتأثرة لأجله.

لكنه يجد بأنها ترفض السفر معه وتقول بأن باريس بعيدة جداً، ورحلتها متعبة بالنسبة لي وسألها وهو يعرف بأنها لا تريد الابتعاد عن وليد في هذه الفترة وهو من يشغل بالها..

_ هل يمكنني أن أعرف السبب الذي يمنعك عن السفر معي، لأنّ عذرك الذي تدعينه لم يقنعني أبداً، لقد سافرتِ معي عدة دول بعيدة منذ سنوات ولم أسمع منك هذا الكلام قبل ذلك؟

_ في الحقيقة يا يوسف أنا أفكر في ريم، لقد كبرت الآن وهي تحتاجني بجانبها، فلن أستطيع الغياب عنها في باريس هذه المدة.

أخذ ينظر إليها بحدة هذه المرة..

_ نور.. هذه المرة الثانية التي لم أقتنع بالعذر الذي تدعيه، وريم تعيش في بيت جدتها، وهي من تقوم بجميع احتياجاتها منذ زواجنا إلى يومنا هذا.

نظرت إليه نظرة خاطفة وكأنّها تخفي شيئاً..

_ يوسف.. هل فقدت الثقة في كلامي أيضاً وبدأت تكذبني؟

_ أنا لا أكذبك..

ولكن أعذارك التي أسمعها منك هي التي لا تصدق، أنا زوجك وأطلب منك السفر معي وأحتاجك بجانبي، فهل هناك من هو أهم مني ويهمك البقاء من أجله؟

أخذت تفكر مع نفسها وهي تقول:

_ إنه يلمح لي بالكلام عن وليد وبأنني أرفض من أجله، وهو يريدني أن أرفض السفر معه من أجل التأكد من ذلك.

سأذهب معه وأمري لله، وأنا أعرف بأنني لن أكون سعيدة معه هناك.

يتأمل يوسف نور وهي مضطربة وكأنّ هناك شيئاً يشغل تفكيرها..

_ ماذا بك يا نور.. أرى بأنّ هناك شيئاً يشغلك؟

تقول نور وهي في حالة ارتباك منها..

_ لا.. لا أبداً أفكر كيف أقنع ريم بأنني سأغيب عنها لمدة شهر دون أن تراني.

يأتي يوم موعد الرحلة في المطار وتسافر نور بصحبة زوجها يوسف وهي تحاول أن تبتسم وتظهر له بأنها سعيدة معه، وهي تخفي الألم الذي بداخلها، وشعورها بأن وليد أصبح في عالم بعيد عن عالمها، ولن تستطيع بأن تراه مرة أخرى، لأن يوسف هو من أصبح قدرها مهما حاولت بأن تكذب واقعها تقول لنفسها..

ماذا تريدين يا نور؟

بماذا تفكرين وتحلمين؟ لقد كان وليد حقيقة أمامك وأنتِ من اتخذتِ قرارك بالابتعاد عنه، والآن تفكرين به وتحلمين.

يوسف هو اختيارك بقناعة منك ورضيتِ به زوجاً لك في حينها، والآن تهربين بمشاعرك عنه، وضعت يدها على جانب رأسها وهي تشعر بألم الصداع يكاد يفتك بها.

لكنها تعود وتقول لنفسها: أمامي عدة طرق لا أعرف أي طريق أختار وأي طريق أبتعد عنه أنا تائهة.. تائهة مع نفسي ومع يوسف لم أعد أعرف من أنا وماذا أريد لقد تعبت.. تعبت.

انتبه يوسف لصمتها المفاجئ طوال الرحلة وهو يجلس بالمقعد المجاور لها في الطائرة ويهمس لها:

_ ما بك يا نور أرى وكأنك تشعرين ببعض الصداع؟

_ أنا بالفعل يا يوسف أشعر بصداع شديد قد يكون سببه إقلاع الطائرة؟

_ سأتحدث مع مضيفة الطائرة لتحضر لك قرصاً يهدئ هذا الألم.. إذا كان يوجد لديهم؟

_ لا... لا داعي أنا معي بعض الأقراص أحملها في حقيبة يدي وسوف أتناول واحدة منها.

عندما يعلم وليد بسفر نور مع زوجها يوسف إلى باريس حزن حزناً شديداً وهو يحدث نفسه..

لقد أصبحتِ يا نور ملكاً لرجل آخر، وتسافرين معه وتهتمين بأمره، وأنا ما زلت أنتظر ذلك اليوم الذي يقربني منك، لكنّه لن يأتي، لقد أصبحت الآن في الخمسين من عمري والقلب ما زال مشغولاً بك، وأخبارك منذ سنين، كأنّ حبّي لك عقاب من السماء أعذب به طيلة حياتي حتى الموت.

بعد أيام تتدهور حالة وليد ويعود مرة أخرى إلى المستشفى، ويقول الدكتور طارق لأخته منار: لقد عاد الورم الخبيث للأسف يتمدد مرة أخرى بداخل جسده، أخذت تبكي منار وتقول: افعل أي شيء يا دكتور إنه أخي الوحيد وليس لي بعده في هذه الحياة.. أرجوك.

في هذه اللحظة تأتي سحر لزيارة وليد وترى بأن منار في حالة حزن وتتحدث مع الدكتور طارق خارج الغرفة التي ينام بداخلها وليد، تقترب سحر وهي في حالة ذهول ماذا حدث يا منار؟

منار وهي في حالة انهيار وليد.. وليد يا سحر إنه يموت لقد أصبحت وحيدة.. وحيدة

يجيبها الدكتور طارق.. لماذا كل هذا اليأس الحياة والموت بيد الله، نحن نحاول قدر استطاعتنا والأمر لله وحده.. ثمّ يذهب تاركاً منار مع دموعها وسحر تحاول أن تخفف عنها.

بعد أن استطاعت سحر بأن تخفف من بكاء منار تسألها أين وليد الآن؟ فتقول بأنه داخل تلك الغرفة..

تطلب سحر منها بأن تتمالك أعصابها أمامه، لأنّها سوف تراه وتطمئن عليه، عندما يراهما وليد يلاحظ الدموع التي حاولت منار بأن تخفيها عنه فيقول..

_ ما هذا الحزن والدموع التي تخفينها عني يا منار؟

أنا أعرف حالتي المرضية منذ بدايتها وأعلم بأنني أعيش في أيامي الأخيرة منها، متى شاء الله لي سوف أودعكم، لكن سامحيني يا منار قد أكون أخطأت بحقك في يوم من الأيام.

عندما تسمع منه منار هذه الكلمات تنهار بالبكاء، سحر تقف بجانبها وهي تحاول بأن تخفف عنها.

ثم ينظر إلى سحر وهو يقول:

_ سحر.. هل يمكنني أن أطلب منك طلباً بسيطاً؟

_ سأكون سعيدة بذلك يا وليد.. تفضل؟

ينظر لها نظرة فيها شيء من التوسل والرجاء..

_ أريد أن أرى نور عندما تأتي من باريس.

تتلعثم سحر في الكلام وتقول:

_ ولكن يا وليد ظروف نور قد لا تسمح لها بزيارتك؟

_ أرجوك.. عندي رغبة بأن أراها قبل أن أفارق هذه الحياة.

_ أعدك يا وليد بأنني سأحاول.. لكن!

_ سحر.. أنا أعرف ظروف نور ومشاكلها مع يوسف، إنها مجرد زيارة واحدة فقط ستجد الوقت الذي تراه مناسباً إذا أرادت ذلك.

_ سأبذل كل جهدي يا وليد من أجل تحقيق أمنيتك.

تغادر سحر ومنار غرفة وليد بعد زيارته في المستشفى ثم تقول منار:

_ أرجوك يا سحر حاولي بأن تأتي نور إلى المستشفى عند عودتها لتحقيق رغبته لعلّ وليد يسترد بعضاً من عافيته عندما يراها؟

تقول سحر قبل أن تمضي في طريقها:

- سوف أحاول كل جهدي يا منار، وليد في حالة صعبة جداً ويحتاج أن نقف بجانبه هذه الأيام التي يمر بها.

أخذت تفكر سحر مع نفسها وهي تسير بسيارتها في طريقها إلى البيت..

لقد كنت مخطئة عندما كنت أحاول إقناع نور بالابتعاد عن هذه العائلة، وأقول بأنها عائلة فقيرة جداً ولن يكون لك مستقبل معهم، وقد تحقق لي ما أردت، تم طلاق نور من سعيد قبل موته، وكان هدفي هو الهروب بنور من هذا الفقر الذي نعاني منه منذ طفولتنا، وأسعد نور وأجعل منها سيدة مجتمع وتسير في الطريق نفسه الذي أنا أفكر به.

بعد أن طلب وليد الزواج منها حاولت بأن أصور لها بأن مستقبلها أهم من زواجها من وليد، وستعاني من الحاجة والفقر معه بنفس معاناتها مع أخيه سعيد.

فتحت لها طريق العمل والزواج من يوسف، وقلت بأن ثروته ومكانته في المجتمع سوف تغير من حياتها إلى الأفضل، لكنني في الحقيقة مثل ما قالت لي نور في أحد الأيام، لم أكن أفعل ما يسعد نور، بل تسببت في حزنها وألمها ولم أكن أعلم بأن وليد يحبها كل هذا الحب، حتى وهو على فراش الموت يفكر بها، نور أيضاً حزينة بداخلها وتكذب علينا جميعاً من أجل أن ترضي أمي وترضيني.

أنا أعلم بأنها لم تعد تحتمل العيش مع يوسف ولا يهمها ثروته ولا مظهره الاجتماعي أمام الناس.

أخطأت حين فكرت بأن نور تفكر مثلما أفكر أنا في هذه الحياة وتهتم بأشياء أنا أهتم بها.

لكن تبيّن لي بأنّ سعادة نور في بساطة الحياة بجانب من تحبّ، تعشق الهدوء والرومانسية منذ صغرها وهذا هو سر حبها لوليد، وأعتقد بأنه هو له نفس سمات شخصيتها ونفس الصفات التي بداخل روح وقلب نور.

بعد أيام تعود نور من رحلتها بباريس وتحاول أن تلتقي بها سحر، وتخبرها بحالة وليد الصحية التي تدهورت ولم يستطع الطب فعل أي شيء أمام هذا الورم الذي بدأ يتمدد بداخل جسده، وأخبرتها أيضاً برغبته في رؤيتها للمرة الأخيرة.

انهمرت دموع نور وهي تقول: أنتِ يا سحر من تطلبين مني بأن ألتقي بوليد ليودعني الوداع الأخير، لقد كنتِ في الماضي تحاولين أن تبعديني عنه، وتقولين بأن حياتي معه ستكون فقراً حتى أموت.

تنظر سحر إلى نور وهي في قمة التأثر والحزن وتقول:

هذا ليس وقت العتاب يا نور والحديث عن الماضي، المهم الآن بأن نسعى لتحقيق رغبة وليد فهو بحاجة إليك.

تنظر نور إلى سحر وهي باكية ماذا سأفعل مع يوسف، وماذا سأقول له إنه لم يعد يثق بأي شيء يسمعه مني.

تقول سحر: الأمر بسيط جداً قولي بأن أختي سحر ستأخذني معها زيارة إلى بيت أمي ولابنتي ريم لرؤيتهما بعد عودتي من السفر، حاولي أن تتصلي به الآن.

اتصلت نور بيوسف لتخبره بما قالت سحر وقال لها بكل سهولة منه لا مانع في ذلك.

انطلقت سحر بسيارتها وبجانبها نور إلى بيت الأم، وبعد زيارة أخذت من وقتهما ساعة من الزمن التقت فيها نور مع أمها وابنتها ريم، تستأذن سحر من الأم وهي تقول لدي مشوار قصير سأصطحب نور معي ثم نعود، عندما يسألك يوسف عن نور تقولين بأنها بصحبة سحر.

انطلقت مرة أخرى بسيارتها نحو المستشفى وعند اقترابها من الغرفة التي ينام بها وليد.

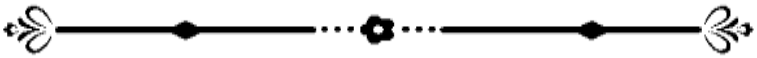

ونور تتبعها بعدة خطوات تشاهد بأنّ هناك عدداً من الأطباء يقفون أمام باب الغرفة ومنار تقف بعيدة عنهم في حالة بكاء.

تقترب سحر منها والخوف بداخلها على حياة وليد..

_ ماذا حصل يا منار لقد أتيت ومعي نور؟

منار وهي باكية:

_ لقد مات وليد.. لقد مات.

لقد تأخرتِ يا سحر.. أخذ يسألني عنها ويردد اسمها عدة مرات أين نور لقد وعدتني سحر بأنها ستحضرها لي.

عندما سمعت نور بموت وليد انهارت وبكت، ثم عادت من طريقها الذي أتت منه للخروج من المستشفى، حاولت سحر اللحاق بها وهي تتبعها تخشى بأن تفعل أي شيء بنفسها.

عند خروج نور من المستشفى أخذت تسير في الشارع في حالة حزن شديد لا تعرف أين تمضي وأي طريق تسلكه.

ترى فجأة وجود يوسف أمامها وهو يقول بغضب:

_ كنت واثق بأنك سوف تأتين لزيارته في المستشفى لأنّ الخيانة هي طبعك أيتها اللئيمة.

تصرخ نور من هول الصدمة وهي في انهيار شديد:

_ يوسف من أين أتيت.. لقد فهمت هذا الموقف بالخطأ.

أخذ يشدها من يدها ويقول:

_ أنا منذ مدة وضعتك تحت المراقبة وأعرف ما يدور في رأسك وما تفعلينه في غيابي، وكنت على يقين بأنك سوف تلتقين به في يوم من الأيام.

تحاول سحر الاقتراب وهي تقول:

- يوسف... نور ليست وحدها لقد كانت معي.

ينظر بكل حقد وهو يكاد يمزقها بنظراته الحادة:

_ من ضيع حياتي وحياة نور غيرك أنتِ يا سحر، أنتِ السبب وراء كل بلاء.

تقول سحر بحدة منها:

- لقد مات وليد يا يوسف، هل تغار على نور من رجل مات وانتهى أمره؟

لم يعرها أي اهتمام وكأنه لا يسمعها، ثم التفت مرة أخرى إلى نور، ثم قال: الحمد لله بأنه مات وأنقذ حياتك من بعده لأنني أتيت وقد نويت قتلك، لكن لا تستحق واحدة خائنة مثلك بأن أضيع مستقبلي من أجلها، سأتركك تعيشين وحيدة من بعد موته معذبة بعشقه وهواه حتى تفقدين عقلك.

بعد هذا اليوم لا أريد بأن أراك في بيتي، ولن تكوني زوجة لي، أنتِ طالق.. وحرة في حياتك كما تشائين.

ثمّ مضى في طريقه غاضباً ونور لم تعد تلتفت إليه وكأنه لا يعنيها، اقتربت من جذع أحد الأشجار وهي تستند برأسها عليه وهي في حالة بكاء، سحر تقترب منها وهي تقول:

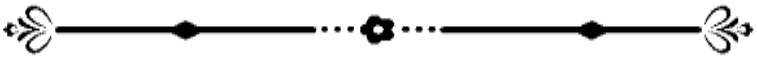

- نحن الآن في الشارع يا نور لنذهب إلى البيت كل من في الطريق بدأ يلتفت إلينا أرجوك.

تقول نور وهي باكية:

- لا أريد الذهاب إلى البيت دعيني هنا وحدي إنني أختنق، أشعر وكأنني أخرج أنفاسي بصعوبة مني، وبأنني سأموت.

سحر وهي غاضبة من موقف يوسف الغريب:

- لا تحزني يا نور على طلاقك منه، بعد الذي رأيته منه فهو شخصية مريضة ومجنون.

تقول نور:

- أنا لا أبكي على يوسف ولا يهمني أمره يكفي ما فعله معي في باريس، كنت سأطلب منه الطلاق قبل أن ينطق به، أنا أبكي على وليد الذي لم أرَه قبل موته، ولم يرَني.

لقد كنت قاسية في حبي له في حياته وكنت قاسية معه في نظرة أخيرة منه أرادها قبل موته، إنها لحظة ندم شديدة الألم أشعر بها ستبقى معي طيلة حياتي.

ثم قالت لسحر:

_ لن نترك منار وقت جنازة وليد سنقف معها، فهي الآن وحيدة من بعده.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي

في عبادي وادخلي جنتي.

صدق اللّه العظيم

انتهت

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع